عندما نُبعث نحن الموتى

هنريك إبسن

ترجمة: شرين عبد الوهاب وأمل رواش

مراجعة: د.سامية لويس ، د. إيمان عز الدين، انجيارد يوسف، د.عصام عبد العزيز

مسرحية من ثلاثة فصول

AF HENRIK IBSEN
KØBENHAVN
(GYLDENDALSKE BOGHANDELS FORLAG (F. HEGEL & SØN
GRÆBES BOGTRYKKERI
1899

الشخصيات

البروفيسور أرنولد روبيك نحات
السيدة مايا روبيك زوجته
مفتش الحمامات العلاجية
أولفهايم من مُلاك الأراضي
السيدة المسافرة
راهبة الرحمة
الخدم ، زوار الحمامات العلاجية، الأطفال

تجري أحداث الفصل الأول بجوار حمام علاجي قرب الشاطئ.

تقع أحداث الفصلين الثاني والثالث بالقرب من منطقة بها حمام علاجي فوق الجبال.

الفصل الأول

(المنظر خارج فندق الحمام العلاجي حيث يمكن رؤية جزء من المبنى الرئيسي- من جهة اليمين. المكان فسيح مكشوف أشبه بالمنتجع به نبع ومجموعة من الأشجار الكبيرة العتيقة ودغل من الشجيرات. إلى اليسار جناح صغير تكاد أشجار اللبلاب ونباتات فرجينيا المتسلقة أن تغطيه تماما. في خارجه منضدة وبجوارها مقعد. في الخلف مشهد لأحد الفيوردات يمتد من وراءه حتى البحر ، ويُرى عن بعد بعض الجزر الصغيرة والألسنة البحرية البارزة تمتد في البحر. يوم هادئ مشمس من أيام الصيف، والوقت: عند الظهيرة.)

(البروفيسور روبيك و السيدة مايا يجلسان على كرسيين من الخوص بجوار مائدة فوق العشب خارج الفندق وقد انتهيا من إفطارهما .والآن يتناولان الشمبانيا ومياه معدنية فوارة وفي يد كل منهما صحيفة. البروفيسور رجل متقدم في السن ذو مظهر ممتاز يرتدي سترة من المخمل الأسود وبقية ملابسه صيفية خفيفة.السيدة مايا ذات وجه تعبر سماته عن الشباب والحيوية ، عيناها مرحتان إلا أن قليل من التعب يبدو على محياها وترتدي ثياب سفر أنيقة.)

السيدة مايا : (تجلس كما لو كانت تنتظر أن يقول البروفيسور شيئًا، ثم تترك صحيفتها تسقط من يدها وهي تتنهد) أوف، لا، لا...!

البروفيسور روبيك: (ينظر إليها من وراء الصحيفة)ماذا يا مايا ؟ ماذا بك؟

السيدة مايا : إنني أستمع إلى الصمت.

البروفيسور روبيك: (يبتسم ابتسامة متسامحة) وهل بوسعكِ سماعه؟

السيدة مايا : أسمع ماذا؟

البروفيسور روبيك: الصمت؟

السيدة مايا : نعم، بالطبع.

البروفيسور روبيك: لعلك على حق يا بنيتي. بالفعل يمكن للمرء أن يستطيع أن يستمع حقًّا إلى الصمت.

السيدة مايا: يمكن سماعه بالتأكيد. عندما يخيم الصمت كما هو الحال هنا فا...

البروفيسور روبيك: أتقصدين هنا في منطقة الحمامات؟

السيدة مايا : يبدو لي أن الصمت في كل مكان في بلدنا. بالمدينة ضوضاء وضجيج ورغم ذلك .... يبدو لي أن الضوضاء والضجيج وكأن الموت يغلفهما.

البروفيسور روبيك:(بنظرة فاحصة) ألست سعيدة بعودتك للوطن يا مايا ؟

السيدة مايا : (تنظر إليه) وهل أنت سعيد؟

البروفيسور روبيك:(متهربا) أنا....؟

السيدة مايا : نعم، أنت يا من تغيبت عن وطنك أكثر مني بكثير. هل أنت سعيد الآن بعودتك إلى وطنك؟

البروفيسور روبيك:لا...وحتى أكون صريحا.... أنا لا أشعر بكثير من السعادة.

السيدة مايا : (بحيوية) أرأيت؟! كنت واثقة من ذلك!

البروفيسور روبيك: ربما أكون قد غبت عن وطني أكثر من اللازم، لقد انجرفت بعيدًا تماما عن كل ما هو هنا... على أرض الوطن.

السيدة مايا :(بحيوية وهي تقرب كرسيها منه) أرأيت يا روبيك؟! دعنا نرحل بعيدًا مرة أخرى! وبأسرع ما يمكن .

البروفيسور روبيك:(بشيء من الضيق) نعم ، نعم. وهذا هو الهدف يا عزيزتي مايا .أنتِ تعرفين ذلك.

السيدة مايا :لكن لِما لا نفعل ذلك على الفور؟ تخيل كم ستكون حياتنا دافئة ومريحة في البيت الجديد الرائع....

البروفيسور روبيك:(يبتسم بسماحة) من المفترض أن نقول بيتنا الجديد الرائع.

السيدة مايا : (بسرعة) أنا قلت بيت... دعنا نسميه كذلك.

البروفيسور روبيك: (يمعن النظر فيها) إنك لمخلوقة صغيرة غريبة حقًّا.

السيدة مايا : وهل أنا غريبة إلى هذا الحد؟

البروفيسور روبيك: نعم،أعتقد ذلك.

السيدة مايا :ولكن لماذا؟ربما لأنني لا أميل إلى البقاء هنا والتجول بلا هدف....؟

البروفيسور روبيك: ومن منا كان ميالا إلى سفرنا نحو الشمال هذا الصيف؟

السيدة مايا : إنه أنا.

البروفيسور روبيك: نعم، بالتأكيد لم يكن أنا.

السـيدة مايا :ولكن يا ربي! من منا كان يعرف أن كل شيء قد تبدل هنا في الوطن بهذا القدر من السـوء!؟ وفي هذه الفترة القصـيرة! تخيل لم يمض سوى أربع سنوات فقط منذ أن رحلت ....

البروفيسور روبيك:كامرأة متزوجة، نعم.

السيدة مايا : متزوجة؟ وما صلة ذلك بالموضوع؟

البروفيسور روبيك:(مستمرا) ...منذ أن أصبحتِ زوجة البروفيسور و أصبح لديك بيت أنيق.....معذرة .... أستطيع أن أسميه قصرًا وفيلا على شاطئ بحيرة تونيتز التي باتت من أروع الأماكن ....نعم ، بوسعي أن أقول يا مايا إنّ المكان كله جميل وراقٍ، وواسع أيضا بما يكفي كي لا نبقى سويا....

السيدة مايا : (برفق) أبدا، أبدا، أبدا....ليس الاتساع وغيره هو المهم ...

البروفيسور روبيك: و أصبحتِ تعيشين في وسط أكثر رحابة ورقي.... وتخالطين من هم من طبقة أرقى من تلك التي تعودتِ الاختلاط بها في بلدك.

السيدة مايا : (تنظر إليه)آه، وعلى هذا فأنت تعتقد أنه أنا التي تغيرت؟

البروفيسور روبيك:نعم؟ إنني متأكد يا مايا .

السيدة مايا : أنا فقط؟ ألم يتغير الناس هنا أيضا؟

البروفيسور روبيك:أوه، نعم. ربما تغيروا قليلًا أيضا .....ربما بدرجة طفيفة ولكن قطعا ليس في الاتجاه الأفضل. أعترف بذلك عن طيب خاطر.

السيدة مايا : نعم. لابد أن تعترف بهذا فعلا.

البروفيسور روبيك:(يغير الموضوع) أتدرين ما الذي يؤثر في نفسي عندما أنظر إلى الحياة هنا من حولنا؟

السيدة مايا : لا.خبرني.

البروفيسور روبيك: إن ذلك يجعلني أتذكر تلك الليلة التي قضيناها في القطار...

السيدة مايا : كيف وقد كنت مستغرقا في النوم في عربة القطار طوال الوقت؟

البروفيسور روبيك:ليس تماما.لقد لاحظت عند كل محطة صغيرة أن هناك صمتا.لقد كنت أنصت إلى الصمت... مثلك يا مايا ...

السيدة مايا :احم...مثلي أنا، آه.

البروفيســـور روبيك:... عندها فهمت أننا عبرنا الحدود.... وأننا عدنا لأرض الوطن. وكان القطار يتوقف في جميع المحطات الصغيرة .... رغم أنه كان خاليا من الناس.

السيدة مايا : لماذا كان يتوقف إِذَنْ ما دام لم يكن به أناس؟

البروفيســور روبيك: لا أدري. فما من مســافر كان يغادر أو يســتقل القطار و مع ذلك كان القطار يتوقف مدة طويلة جدا. وفي كل محطة كنت أستطيع أن أسمع رجلين من رجال السكة الحديد ينزلان على الرصيف ....أحدهما يحمل مصباحا بيده.... ويتبادلان حديثا بصوت خافت بلا رنين وبلا معنى.

السيدة مايا : نعم،أنت محق. كان هناك دائما رجلان يتحدثان سويا....

البروفيسور روبيك: عن لا شيء.(تتغير لهجته لتصبح أكثر حيوية) ولكن انتظري حتى الغد فقط. وعندئذ سوف نستقل تلك الباخرة الضخمة المريحة التي ترسو في الميناء وسوف تبحر بنا على طول الساحل كله... رأسا إلى أعالي الشمال. ....إلى البحر القطبي مباشرة.

السيدة مايا : نعم، ولكن عندئذ لن نرى شيئًا من معًالم البلد.... ومن الحياة.وهذا بالضبط ما كنت ترغب فيه.

البروفيسور روبيك:(باقتضاب ومرغما) لقد رأيت ما يكفي ويزيد

السيدة مايا : هل ترى أن الرحلة البحرية ستكون أفضل لك؟

البروفيسور روبيك: على كل حال هي نوعا من التغيير.

السيدة مايا :نعم، نعم. إذا كان هذا الشيء هو المناسب لك فا....

البروفيسور روبيك: لي أنا؟ مناسب؟ ليس بي شيء.

السيدة مايا :(تنهض وتذهب إليه) لا. إن بك شيئًا ما يا روبيك،ولابد أنك تشعر به بنفسك.

البروفيسور روبيك: ولكن، يا عزيزتي مايا .... ما هو؟

السـيدة مايا : (تقف خلفه منحنية على ظهر كرسـيه) فلتخبرني أنت.أنت غير مسـتقر وقلق ولا تجد راحة في أي مكان..... لا في البيت ولا خارجه. ومؤخرا أصبحت تبتعد عن الناس.

البروفيسور روبيك:(بقليل من السخرية)حقًّا... هل لاحظتِ ذلك؟

السيدة مايا :ما من أحد يعرفك يستطيع أن يتجاهل ذلك. وأرى أنه من المؤسف أن تفقد رغبتك في العمل.

البروفيسور روبيك:وهل فقدت رغبتي في العمل أيضا؟

السيدة مايا : تخيل! أنت يا من كنت تعمل في كل الأوقات.... نهارا وليلا!

البروفيسور روبيك:(بحزن) كنت. أه ....

السيدة مايا : منذ أن انتهيت من إنجاز عملك الفني العظيم، تحفتك الخالدة...

البروفيسور روبيك:(يومئ وهو شارد) " يوم البعث"....

السيدة مايا : ... نعم، الذي طاف العالم أجمع وجلب لك الشهرة....

البروفيسور روبيك: وفيه أيضا قد يكمن حظي العاثر يا مايا.

السيدة مايا :كيف ذلك؟

البروفيســـور روبيك: عندما انتهيت من عملي العظيم هذا.....(يمد ذراعيه بقوة)..... ذلك لأن "يوم البعث" كان عملا فريدا من نوعه! أو كان كذلك في البداية. لا، ومازال. ولابد،لابد،لابد أن يكون عملا عظيما!

السيدة مايا : (تنظر إليه في دهشة) نعم، يا روبيك ....إن العالم كله يعرف ذلك.

البروفيسور روبيك:(باختصار وفي نفور) إِذَنْ العالم كله لا يعرف شيئًا و لا يفهم شيئًا...

السيدة مايا :حسنا، ولكن على الأقل أنه يعرف شيئًا ما ....

البروفيسـور روبيك: شيء ما؟ شـيئًا ليس له وجود، أه. شيء لم يخطر على بالي.إنه كما تفهمين الشيـء الذي بهرهم!(متذمرا) ليس هناك جدوى أن يعمل المرء ويكد كي يرضي النخبة والعامة من الناس... كي يرضي"العالم كله".

السيدة مايا : هل ترى إِذَنْ أنه من الأفضل ... أو أنه من الأجدى لك أن تصنع تماثيل نصفية من حين لآخر؟

البروفيسور روبيك:(يبتسم خلسة) إنها ليست مجرد تماثيل نصفية تلك التي أصنعها يا مايا .

الســـيدة مايا : اقســـم لك أنها كذلك... خلال الســـنتين أو الثلاث الأخيرة..... ومنذ اللحظة التي أتممت فيها مجموعتك الفنية العظيمة وأخرجتها من المنزل فا...

البروفيسور روبيك: أؤكد لك إنهم ليسوا تماثيل نصفية.

السيدة مايا : فما هم إِذَنْ؟

البروفيسور روبيك: هناك أشياء مبهمة كامنة داخل وخلف تلك التماثيل النصفية... أشياء سرية ليس بمقدور بشر أن يراها...

السيدة مايا : حقًّا؟

البروفيسور روبيك:(بحزم) أنا فقط من يستطيع رؤيتها. وهذا أمر يسعدني للغاية.... وبينهم "شبه مذهل" من الخارج ، كما يقال. ويقف الناس أمامهم مبهورين و مندهشين... (يخفض صوته) ....ولكن الحقيقة العميقة أنهم من الداخل يشبهون وجوه خيول مخلصة بهية وأفواه حمير عنيدة ذات أذان متدلية ورؤوس كلاب ذات جباه ضيقة ورؤوس خنازير سمينة وبشر متوحشين وكذلك....

السيدة مايا :(بلامبالاة)... إنها كل الحيوانات الأليفة العزيزة إِذَنْ.

البروفيسور روبيك: الحيوانات الأليفة العزيزة فقط يا مايا . كل الحيوانات التي سخرها البشر..... والتي استطاعت بدورها أن تفسده. (يفرغ كأس الشامبانيا ويضحك) وتلك هي الأعمال الفنية الشريرة الخبيثة التي يأتي الأثرياء الوجهاء ويطلبونها مني بكل سلامة نية .....ويدفعون فيها مبالغ طائلة.

السيدة مايا :(تملأ كأسه) خسئت يا روبيك! اشرب الآن ولتسعد.

البروفيسور روبيك:(يمرر يده على جبهته عدة مرات ويستند إلى ظهر كرسيه) إنني سعيد يا مايا ، إنني سعيد للغاية ..... بطريقة ما.(صمت قصير) ففي نهاية الأمر هناك سعادة معينة عندما يشعر المرء بأنه حر طليق ومكتفيا بذاته في كافة شئونه..... وحين يكون كل ما يبغيه رهن إشارته على الأقل ظاهريا. .... ألا تتفقين معي يا مايا ؟

السيدة مايا : نعم، بالطبع.وهذا كافٍ في حد ذاته.(تنظر إليه)ولكن أتذكر ما وعدتني به ذاك اليوم الذي توصلنا فيه إلى تفاهم؟ ... فيما يخص ذلك الموضوع الشائك...

البروفيسور روبيك:(يومئ) ... عندما تفاهمنا بخصوص موضوع زواجنا. نعم. لم يكن الأمر هينا بالنسبة لكِ يا مايا .

السيدة مايا :(تظل هادئة) ... واتفقنا أنك سوف تصطحبني في سفرك إلى خارج البلاد لأعيش هناك مدى الحياة ... وأتمتع بحياة كريمة... أتذكر ما وعدتني به حينها؟

البروفيسور روبيك:(يهز رأسه) لا، أنا لا أتذكر. بماذا وعدتك؟

السيدة مايا : لقد وعدتني أنك ستأخذني إلى قمة جبل عالٍ لكي تريني كل أمجاد العالم.

البروفيسور روبيك:(يجفل قليلًا) هل وعدتكِ أيضا؟

السيدة مايا : (تنظر إليه) وعدتني أنا أيضا؟ ومن غيري؟

البروفيسور روبيك:(بلا اكتراث) لا، لا. قصدت فقط ما إذا كنت قد وعدتك بأن أريكِ ....؟

السيدة مايا :... كل أمجاد العالم؟ نعم ، لقد قلت ذلك. وقلت لي أن كل أمجاد العالم تلك ستكون لي ولك.

البروفيسور روبيك: هذه مقولة كنت استخدمها في الماضي.

السيدة مايا : مجرد مقولة؟

البروفيسـور روبيك:نعم، مقولة من أيام المدرسـة....كنت معتادا أن أقولها لإغواء أطفال الجيران كي يشـاطروننا اللعب في الغابة وعلى سفح الجبال.

السيدة مايا :(تحملق فيه) ربما أردت أن تغويني باللعب معك، أنا أيضا؟

البروفيسور روبيك:(يعتبرها مزحة) لا بأس ، ألم تكن اللعبة مسلية يا مايا؟

السيدةمايا :(ببرود) لم أصطحبك في السفر لمجرد اللعب.

البروفيسور روبيك: لا، لا. أنتِ محقة.

السيدة مايا : وأنت لم تأخذني معك أبدا إلى قمة جبل عال ولم تريني ....

البروفيســور روبيك:(بضــيق) .... كل أمجاد العالم؟ لا، لم أفعل. دعيني أقول لكِ شــيئًا:... أنت في الحقيقة لم تخلقي لتكوني من متسلقي الجبال أيتها الصغيرة مايا .

السيدة مايا :(تحاول أن تكبح جماح نفسها) ولكن لم يكن هذا رأيك حينها.

البروفيســور روبيك: كان ذلك منذ أربعة أو خمســة أعوام.نعم. (يتمدد على الكرسي) أربع ...أو خمس ســنوات. إنها مدة طويلة جدًّا يا مايا.

السيدة مايا:(تنظر إليه ويبدو على وجهها المرارة) هل بدت لك هذه المدة طويلة جدًّا يا روبيك؟

البروفيسور روبيك: بدأت أشعر الآن أنها كانت مدة طويلة إلى حد ما.(يتثاءب) أقصد بين حين وآخر.

السيدة مايا: (تعود إلى مكانها) لن أكون مصدر ملل لك بعد الآن.

(تعود إلى مقعدها وتجلس وتتناول الصحيفة وتبدأ في تصفحها. يسود الصمت من الجانبين)

البروفيسور روبيك:(يستند إلى المنضدة بمرفقيه وينظر إليها نظرة استفزازية) هل استاءت زوجة البروفيسور؟

السيدة مايا :(ببرود دون أن ترفع نظرها عن الصحيفة) لا، مطلقا.

(بدأ زوار المنتجع، وأغلبهم من السيدات، يتوافدون فرادى وجماعات عبر الحديقة من اليمين ويخرجون من جهة اليسار)

(يحضر النُدُل المرطبات من الفندق ويذهبون بها إلى ما وراء جناح الحديقة)

(يعود مفتش الصـــحة من جولته الإشرافية في المنتجع مرتديا قفازا ويحمل عصـــا و يقابل الزوار في طريقه وينحني لهم في أدب ويتبادل مع بعضهم القليل من الكلمات)

المفتش:(يتقدم من منضدة البروفيسور روبيك ويخلع قبعته في أدب) أسعدتِ صباحا يا حرم البروفيسور . ..... أسعدتِ صباحا يا بروفيسور.

البروفيسور روبيك: صباح الخير، صباح الخير يا حضرة المفتش.

المفتش:(يخاطب السيدة مايا) هل قضيتما ليلة هادئة؟

السيدة مايا : نعم، شكرا جزيلا لك. كانت ليلة رائعة على الأقل بالنسبة لي. إنني دائما أنام كالحجر بلا حراك.

المفتش: يسرني ذلك. فإن أول ليلة في مكان غريب تكون دائما عسيرة .... والبروفيسور....؟

البروفيسور روبيك: أوه، إن حالة الأرق الليلي التي تنتابني لا تدعو للتباهي .... ولاسيما في الآونة الأخيرة.

المفتش:(يتظاهر بالعطف) أوه.... هذا شيء مؤسف ولكن بعد قضاء بضعة أسابيع في الحمامات سوف ينصلح الحال.

البروفيسور روبيك:(ينظر إليه) قول لي يا حضرة المفتش.... هل هناك أحد من مرضاك ينزل الحمامات ليلا؟

المفتش: (في دهشة) ليلا؟ لا، لم أسمع مطلقا بمثل هذا الأمر.

البروفيسور روبيك:حقًّا؟

المفتش: لا، لا أعرف أحدا من المرضي بلغ به المرض درجة تجعله يفعل ذلك.

البروفيسور روبيك: حسنا، هل هناك من يسير في المنتجع ليلا؟

المفتش: (يبتسم ويهز رأسه) كلا يا حضرة البروفيسور .... هذا ضد اللوائح هنا.

السيدة مايا :(بضيق) يا الله يا روبيك! كما قلت لك صباح اليوم لابد أنك..... كنت تحلم.

البروفيسور روبيك: (بجفاء) حقًّا؟ كنت أحلم؟ أشكرك! (يلتفت إلى المفتش) لقد نهضت أثناء الليل لأنني لم أستطع النوم. وكنت أريد أن أرى كيف حال الطقس و.....

المفتش: (منتبها) نعم يا حضرة البروفيسور.... ثم...؟

البروفيسور روبيك: تطلعت من النافذة.... فوقع بصري على شخص يرتدي اللون الأبيض يتحرك هناك بين الأشجار.

السيدة مايا : (تبتسم للمفتش) وقال البروفيسور أن هذا الشخص كان يرتدي ثياب السباحة.....

البروفيسور روبيك: ...أنا قلت شيئًا من هذا القبيل . لم يكن بوسعي أن أميزه بوضوح ولكني كنت أرى شبحا أبيضا.

المفتش: هذا شيء غريب جدًّا. هل كان رجلا أم سيدة؟

البروفيسور روبيك: أكاد أجزم أنها كانت سيدة. ثم جاء بعد ذلك شخص آخر. وكان هذا الشخص يرتدي ملابس سوداء قاتمة.... كأنه ظل.

المفتش: (يجفل) شخص ملابسه سوداء؟ ربما كان أسودا قاتما؟

البروفيسور روبيك: نعم، هكذا بدا لي.

المفتش: (مستوعبا) وكان يمشي وراء الشخص الأبيض؟ يتبعه كظله....؟

البروفيسور روبيك: نعم ... على مسافة منه...

المفتش: أها! أظنني قادر على شرح هذا اللغز يا حضرة البروفيسور.

البروفيسور روبيك: حسنا، ما هو إِذَنْ؟

السيدة مايا : (في نفس الوقت) لم يكن البروفيسور يحلم إِذَنْ؟

المفتش: (يهمس فجأة وهو يوجه انتباههما نحو الخلف من الناحية اليمنى) هش يا سـادة! انظرا إليها.... لا تتحدثا عن هذا الأمر الآن!

(تقبل من ناحية زاوية الفندق سـيدة نحيلة، ترتدي ثوبا من الكشـمير الأبيض الكر يمي تتبعها راهبة الرحمة ترتدي ثوبا أسـودا، وعلى صدرها سلسلة معلق فيها صليب فضي ثم تعبر الحديقة نحو الجناح الذي يقع جهة اليسار في المقدمة. السيدة ذات وجه شـاحب، ويبدو الجمود على ملامح وجهها وجفونها ذابلة متدلية فتبدو وكأنها لا ترى، ثوبها طويل يبلغ قدميها وينسـدل على جسـدها في طيات عمودية، ويغطي رأسـها، ورقبتها، وصـدرها، وكتفيها و - ذراعيها شـال كبير من الكريب الأبيض. وتبقي ذراعيها متعامدة على صـدرها، وجسـدها ثابتا وخطواتها جامدة قصـيرة .وتسـير راهبة الرحمة بنفس الاتزان وكأنها خادمة تتابع السـيدة بعينين بنيتين حادتين ثابتة باستمرار على السيدة.يقبل النُدُل من مدخل الفندق يحملون على أذرعهم المناديل ، ويلقون بنظرات فضولية على الغريبتين غير أنهما لا تعيران أي شيء انتباها ولا تريان أي أحد وتدخلان الجناح دون أن تلتفتا إلى أي شيء.)

البروفيسور روبيك: (ينهض ببطيء يحملق لا إراديا في باب الجناح المغلق) من تكون تلك السيدة؟

المفتش: إنها سيدة غريبة قد استأجرت جناح الحديقة هناك؟

البروفيسور روبيك: أجنبية؟

المفتش: على الأرجح. على أية حال كلتاهما قد جاءتا من خارج البلاد منذ حوالي أسبوع. لم تحضرا هنا من قبل مطلقا.

البروفيسور روبيك: (ينظر إليه ويقول في حزم) إنها هي التي رأيتها في الحديقة أثناء الليل.

المفتش: ما من شك أنها هي. لقد أدركت ذلك منذ البداية.

البروفيسور روبيك: ما اسم السيدة يا حضرة المفتش؟

المفتش : لقد ذكرت في السجلات أن اسمها : "السيدة دي ساتوف" وتصطحبها مرافقة ولا شيء آخر.

البروفيسور روبيك:(يفكر مليا) ساتوف؟ ساتوف...؟

السيدة مايا : (تضحك في سخرية) أتعرف أحدا بهذا الاسم ياروبيك؟ هه؟

البروفيسور روبيك: (يهز رأسه) لا، لا أعرف..... ساتوف؟ يبدو أنه اسم روسي أو على الأقل من أصل سُلافي.(إلى المفتش) بأية لغة تتحدث؟

المفتش: عندما تتحدث السيدتان كل منهما إلى الأخرى تستخدمان لغة لا أفهمها ولكنها تتكلم النرويجية بطلاقة.

البروفيسور روبيك: (يتساءل في دهشة)النرويجية؟ هل أنت واثق من أنك لست مخطئا؟

المفتش: مؤكد ، كيف يمكن أن أكون مخطئا في شيء كهذا؟

البروفيسور روبيك: (ينظر إليه باهتمام) هل سمعتها بنفسك؟

المفتش:نعم، لقد تبادلت معها ..... بضع كلمات.... لأنها لا تتكلم كثيرا. ولكنها ....

البروفيسور روبيك: ولكنها كانت تتحدث النرويجية؟

المفتش: لغة نرويجية واضحة وسليمة تماما..... ربما يشوبها قليلًا من لهجة أهل الشمال.

البروفيسور روبيك: (ساهما ويهمس) وهذا أيضا؟

السيدة مايا : (بذهول وضيق) لعل تلك السيدة كانت أحد موديلاتك يا روبيك؟ فتش في ذاكرتك.

البروفيسور روبيك: (ينظر إليها بحدة) موديل!؟

السيدة مايا : (بابتسامة استفزازية) أعني في أيام شبابك كان لديك العديد من الموديلات... منذ زمن بعيد بالطبع.

البروفيسور روبيك: (بنفس اللهجة) أوه، لا. أيتها السيدة الصغيرة مايا. لم يكن لي سوى موديل واحد فقط.....واحدة فقط... لكل أعمالي التي صنعتها.

المفتش: (استدار وابتعد قليلًا وهو ينظر جهة اليسار) يجب أن أستأذنكما. لأن هناك شخصا قادما لا يروق لي أن اصطدم به لاسيما في وجود سيدات.

البروفيسور روبيك: (ينظر في نفس الاتجاه) أهو هذا الصياد القادم هناك؟ من هذا؟

المفتش: إنه أولفهايم من مُلاك الأرض. إنه قادم من....

البروفيسور روبيك: أوه، أولفهايم من مُلاك الأرض.

المفتش: ... قاتل الدببة كما يطلقون عليه....

البروفيسور روبيك: إني أعرفه.

المفتش: نعم، ومن لا يعرفه؟

البروفيسور روبيك: أنا أعرفه معرفة سطحية على أية حال. هل أصبح من المرضى أخيرا؟

المفتش: لا، شيء غريب. حتى الآن لا. إنه يمر هنا مرة كل عام ... في طريقه إلى أماكن الصيد ... أستأذنكما الآن....

(يتحرك في اتجاه الفندق)

صوت أولفهايم: (يسمع من الخارج) توقف! اللعنة! توقف! لماذا تتهرب مني دائما؟

المفتش: (يتوقف) أنا لا أتهرب منك يا سيد أولفهايم.

(يدخل أولفهايم من اليسار يليه خادم معه زوج من الكلاب في مقودها . يرتدي أولفهايم لباس الصيد وحذاء عاليًا برقبة وقبعة من اللباد بها ريشة. وهو طويل، نحيف ومتين العضلات، قوي الشخصية، ملبد الشعر واللحية ، صوته جهوري. مظهره لا يعطي أي انطباع عن عمره، لكنه لم يعد شابا.)

أولفهايم: (ينقض على المفتش) أتلك هي الطريقة التي تستقبل بها الغرباء؟ تهرب موليا أدبارك واضعا ذيلك بين ساقيك.... كأن الشيطان في أعقابك؟

المفتش:(في هدوء دون أن يجيبه) هل وصل السيد أولفهايم بالباخرة؟

أولفهايم : (مزمجرا) لم أحظى بشرف رؤية أية باخرة. (واضعا يديه في خصره) ألا تعلم أني أمتلك مركبا شراعيا خاصا بي؟ (للخادم) انتبه لرفيقيك يا لارش على أن تظل محافظا على وحشيتهما وقوتهما الكاسرة في نفس الوقت . قدم لهما لحم طازج وعظام ولكن لا يكسوهما الكثير من اللحم. أتسمعني؟ وتأكد من أن رائحة الدم تفوح من اللحم النيئ الذي يتصبب دمًا وخذ لنفسك شيئًا تملأ به بطنك. (يركله) والآن فلتذهب إلى الجحيم!

(يخرج الخادم مع الكلبين ويختفي في زاوية الفندق إلى الخلف)

المفتش: هل تود أن تذهب إلى حجرة المائدة يا سيد أولفهايم؟

أولفهايم: هناك بين هذا الذباب وهؤلاء الذين يشرفون على الموت؟ لا، أشكرك ألف مرة يا سيادة المفتش.

المفتش: لا بأس، لا بأس.كما تريد.

أولفهايم: ولكن دع الخادمة تجهز لي سلة كبيرة كالمعتاد.يجب أن تحتوي على كثير من الطعام البراندي والنبيذ الجيد ...! يمكنك أن تخبرها بأنها إن لم تفعل سأحضر أنا ولارش لنلعب معها لعبة الشيطان .....

المفتش:(يقاطعه)نحن نعلم بأساليبك جيدا.(يلتفت) هل أبلغ الخدم أي أوامر منك يا بروفيسور؟هل أرسل شيئًا للسيدة روبيك؟

البروفيسور روبيك: لا، شكرا.أنا لا أريد أي شيء؟

السيدة مايا : ولا أنا أيضا.

(يدخل المفتش إلى الفندق.)

أولفهايم: (يحملق فيهما لحظة ثم يرفع قبعته) أمعقول؟! اللعنة!من الواضح أن هنا فلاح عرف كيف يشق طريقه إلى الطبقة الراقية.

البروفيسور روبيك: (ينظر إليه) ما الذي تعنيه بذلك يا سيد أولفهايم؟

أولفهايم: (بسرعة وبأدب) أعتقد أن لي الشرف أن أتحدث إلى شخصية في مقام النحات العظيم روبيك.

البروفيسور روبيك: (يومئ) أذكر أنني قابلتك مرة أو مرتين في إحدى الحفلات.

أولفهايم: كان ذلك منذ أعوام طويلة مضت ثم سمعت بعد ذلك أي شخصية مرموقة قد أصبحت. و في ذلك الحين لم يكن من الممكن لصياد دببة قذر مثلي أن يتجرأ على الاقتراب منك.

البروفيسور روبيك: (يبتسم) وأنا حتى الآن لا أعض.

السيدة مايا : (تنظر إلى أولفهايم باهتمام) هل حضرتك صياد دببة حقًّا؟

أولفهايم: (يجلس إلى المنضدة التالية من ناحية الفندق) أكون صياد دببة عندما تسنح لي الفرصة يا سيدتي غير أني أنتهز جيدا فرصة أي نوع يصادفني من الصيد فأصطاد..... نسور ،ذئاب،نساء ، أيائل او ظباء .....على شرط أن يكون لحمها طازج يتصبب دما وعندئذ....

(يشرب من قارورة في جيبه.)

السيدة مايا : (تثبت عينيها عليه) ولكنك تفضل صيد الدببة عن أي شيء آخر؟

أولفهايم: نعم - حينذاك استخدم خنجري إذا احتاج الأمر .(يبتسم ابتسامة خفيفة) كلانا يستعمل خامات صلبة يا سيدتي.... أنا وزوجك. فهو يناضل مع قطع الرخام وأنا أناضل مع عضلات الدببة القوية المتوترة وكلانا يكسب المعركة في النهاية.كلانا متمكن من أسلحته ويسيطر على أدواته. إننا لا نيأس أبدا حتى نبلغ هدفنا مهما بلغ الأمر.

البروفيسور روبيك: (يمعن التفكير) هناك الكثير من الحقيقة فيما تقول.

أولفهايم: نعم. لأنني أعلم أن الحجر لديه ما يقاوم من أجله. فهو ميت ويقاوم بعنف وقوة حتى لا تبعث فيه الحياة بالمطرقة تماما مثل الدب عندما تأتي إليه وتحثه على الخروج من مخبأه.

السيدة مايا :هل تنوي الذهاب إلى الغابة الآن للصيد؟

أولفهايم: إنني أنوي الصعود إلى أعالي الجبال.... أظن أنكِ لم تصعدي أبدا إلى قمة جبل عال يا سيدتي.

السيدة مايا : لا، مطلقا.

أولفهايم: يا للعار! يجب أن تقرري وتصعدي الجبل هذا الصيف بالذات! سأصطحب حضرتك معي أنتِ والأستاذ بكل سرور.

السيدة مايا : أشكرك ولكن روبيك يفكر في اصطحابي إلى رحلة بحرية هذا الصيف.

البروفيسور روبيك: حول الساحل بين الجزر.

أولفهايم: أوف... بحق الشـــيطان ما الذي يمكن أن تفعله في تلك المزاريب الســـقيمة اللعينة؟ ... تتخبط بين الأخاديد الراكدة المالحة والتي .... التي أفضل أن أطلق عليها المستنقعات الراكدة.

السيدة مايا : اسمع يا روبيك!

أولفهايم: لا. من الأفضل كثيرا أن تأتيا معي إلى الجبل .....حيث الهواء النقي ... وحيث يخلو المكان من البشر.. يمكنكما أن تدركا معنى ذلك بالنسبة لي ...ولكن مثل هذه السيدة الصغيرة .....

(يتوقف)

(تقبل راهبة الرحمة من الجناح متوجهة إلى الفندق فيتبعها أولفهايم بنظراته.)

أولفهايم: (يتبعها بعينيه) انظر إلى تلك القادمة هناك، أرجوك! ذاك الغراب الليلي الذي يسير هناك .. من ستدفن يا ترى؟

البروفيسور روبيك: لم أسمع عن أحد...

أولفهايم: حســنا، هنالك من هو على وشــك أن يســلم الروح.... في زاوية أو أخري. هؤلاء الناس – المريضــة العاجزة يجب أن تتوافر لديهم النية الطيبة في أن يواروا أنفسهم التراب..... وكلما أسرعوا كان أفضل.

السيدة مايا : ألم تمرض أبدا يا سيد أولفهايم؟

أولفهايم: أبدا. لو كنت مرضت لما رأيتني هنا غير أن أقرب الأصدقاء إلى نفسي..... قد مرضوا ، يا لهم من مخلوقات مسكينة!

السيدة مايا : وما الذي فعلته لأقرب أصدقائك إِذَنْ؟

أولفهايم: أطلقت عليهم الرصاص بالطبع.

البروفيسور روبيك: (ينظر إليه) أطلقت عليهم الرصاص؟

السيدة مايا : (تدفع كرسيها إلى الخلف) أطلقت عليهم الرصاص وقتلتهم؟

أولفهايم:(يومئ) أنا لا أخطئ الهدف أبدا يا سيدتي.

السيدة مايا : ولكن كيف يمكن أن يكون في مقدورك أن تطلق الرصاص على الناس ؟

أولفهايم: إنني لا أتحدث عن الناس...

السيدة مايا : إنك تقول أقرب الأصدقاء إلى نفسك...

أولفهايم:حسنا، ومن تظنين أن يكون هؤلاء سوى كلابي؟

السيدة مايا : هل كلابك هم أقرب الأصدقاء ئ إلى نفسك؟

أولفهايم: ليس لي أقرب منهم . إنهم رفاقي الأمناء المخلصون الأوفياء دائما .....عندما يحل المرض بواحد منهم ويشعر بالضعف ...طاخ! ... عندئذ يرحل صديقي إلى العالم الآخر.

(تخرج راهبة الرحمة من الفندق حاملة صينية عليها خبز ولبن فتضعها على منضدة خارج جناح الحديقة ثم تدخل)

أولفهايم: (يضحك في ازدراء) أوه، تلك النفاية التي تحملها هذه الراهبة هناك ... أهذا ما تعتبرونه طعاما صالحا للبشر؟ خليط من اللبن والماء وخبزا طريا لزجا. عليكم أن تروا رفاقي وهم يأكلون. أتريدون رؤية هذا المشهد؟

السيدة مايا : (تمرر ابتسامة لزوجها وتنهض) نعم .

أولفهايم:(ينهض بدوره) أنت تتحدثين يا سـيدتي مثل امرأة مقدامة! إِذَنْ تعالي معي ! إنهم يلتهمون كتلا ضـخمة من اللحم..... يبتلعونها من أولها إلى آخرها . إن مجرد النظر إليهم يعد متعة. هيا تعالي..... وأثناء ذلك يمكننا أن نتحدث عن رحلتنا المرتقبة للجبال.....

(يخرج من زاوية الفندق تتبعه السيدة مايا.)

(في نفس الوقت تقريبا تخرج السيدة الغريبة من جناح الحديقة وتجلس إلى المنضدة)

(ترفع السيدة كوب اللبن وتهم أن تشربه ولكنها تتوقف وتنظر إلى روبيك بعينين خاليتين من أي تعبير)

البروفيسـور روبيك: (يظل جالسـا إلى المنضـدة ويحملق فيها - بثبات وجدية وأخيرًا ينهض ويخطو نحوها بضـع خطوات ثم يتوقف ويقول في صوت خافت) إني أعرفك جيدا يا إيرينة.

السيدة: (في صوت خال من أي تعبير وهي تضع الكوب) أيمكنك أن تخمن من أنا يا أرنولد؟

البروفيسور روبيك: (لا يجيبها) أرى أنك تعرفتِ عليَّ أنا أيضا.

السيدة: معك أنتِ الأمر يختلف تماما.

البروفيسور روبيك: معي؟... وكيف هذا؟

السيدة: أوه، أنت لا تزال على قيد الحياة.

البروفيسور روبيك: (لا يفهم) على قيد الحياة....؟

السيدة: (بعد صمت قصير) من تلك الأخرى؟ المرأة التي كانت معك ... هناك عند المنضدة؟

البروفيسور روبيك: (بشيء من التردد) هي؟ إنها .... زوجتي.

السيدة: (تحني رأسها في بطء) حقًّا! إِذَنْ هي شخص لا يعنيني.

البروفيسور روبيك:(بتردد) لا بالطبع لا....

السيدة: ....شخص بقيت معه بعد وفاتي؟

البروفيسور روبيك: (يتفرس فيها فجأة) بعد وفاتك...؟ماذا تقصدين يا إيرينة؟

إيرينة: (دون أن تجيب) والطفل؟ إنني سمعت أن الطفل ذاع صيته، استطاع الحياة بعدي ونال الشهرة والمجد.

البروفيسور روبيك: (يبتسم كأنما يبتسم لذكرى قديمة يستدعيها) طفلنا؟ نعم، كنا نسميه كذلك... - حينذاك.

إيرينة: عندما كنت على قيد الحياة، نعم.

البروفيســـور روبيك: (يحاول أن يتكلم بلهجة أكثر مرحا) نعم يا إيرينة.... أؤكد لك أن " طفلنا" قد اشـــتهر في كل أرجاء الدنيا، وأظنك قرأتِ عن ذلك.

إيرينة: (تومئ) وقد جلب الشهرة لأبيه أيضا .... كان هذا حلمك.

البروفيسور روبيك: (بأسلوب أكثر نعومة وانفعال) إنني مدين لك أنتِ بكل شيء يا إيرينة ... وأني لأشكرك .

إيرينة: (تستغرق في أفكارها لحظة) لو كنت فعلت آنذاك ما كان يحق لي فعله يا أرنولد.....

البروفيسور روبيك: حسنا؟ ماذا؟

إيرينة: كنت قتلت ذاك الطفل.

البروفيسور روبيك: تقتلينه؟

إيرينة: (تهمس) أقتله... قبل أن أسافر وأتركك. لكنت أدقه وأسحقه إلى أن يصير ترابا وأذرّه في الهواء--

البروفيسور روبيك: (يهز رأسه في تأنيب) ما كنتِ تستطيعين فعل ذلك أبدا يا إيرينة، ما كان قلبك يطاوعك.

إيرينة: بلى. فلم يكن لي حينها ذلك القلب.

البروفيسور روبيك: ولكن فيما بعد؟ بعد ذلك؟

إيرينة: بعد ذلك قتلته عدة مرات، نهارا وليلا. قتلته ببغض... وانتقام.... وألم.

البروفيسور روبيك: (يقترب من المنضدة ويسأل بصوت أخفت) خبريني يا إيرينة.... ..بعد كل هذه الأعوام... لماذا سافرتِ وتركتيني حينها؟... لقد هربتِ دون أن تتركي وراءك أثرا..... ولم أستطع العثور عليك ثانية.

إرينة: (تهز رأسها ببطء) أوه، يا أرنولد.....لماذا أخبرك الآن.... وأنا في عالم الأموات؟

البروفيسور روبيك: هل أحببت أحدا غيري؟

إيرينة: كان هناك شخص لكن لم يكن في حاجة إلى حبي... ولا حياتي.

البروفيسور روبيك:(يحاول أن يغير الموضوع) احم .... لا داعي لأن نتكلم عن الماضي...

إيرينة: لا.لا تدعنا بأي حال نتحدث عن عالم الأموات.... حتى لو كان ذلك يناسبني.

البروفيسور روبيك: أين كنتِ يا إيرينة؟ كل محاولاتي في البحث عنك لم تجدِ.

إيرينة: إنني ذهبت إلى الظلمات.... في الوقت الذي وقف فيه الطفل وتغيرت هيئته وأضاء وجه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور.-

البروفيسور روبيك: هل سافرتِ كثيرا حول العالم؟

إيرينة: نعم. سافرت إلى ممالك وبلدان كثيرة.

البروفيسور روبيك:(ينظر إليها في تأثر) وما الذي كنت تفعليه يا إيرينة؟

إيرينة: (تحول نظرها نحوه) انتظر لحظة..... دعني أتذكر... نعم تذكرت ... كنت أقف على قرص دوار في عروض متنوعة كتمثال ينبض بالحياة وكسبت أكواما من الأموال لم أجدها عندك لأنك لم تكن تمتلك مالا حينذاك. .... وقد أدرت رؤوس كثير من الرجال .... وهذا أيضا لم أكن أجده عندك يا أرنولد..... لقد حصنت نفسك أفضل منهم .

البروفيسور روبيك: (يغير الموضوع) وقد تزوجتِ أيضا، أليس كذلك؟

إيرينة: نعم، تزوجت واحدا منهم.

البروفيسور روبيك: ومن يكون زوجك؟

إيرينة: إنه رجل من أمريكا الجنوبية. دبلوماسي . (تنظر أمامها ساهمة وعلى شفتيها ابتسامة جامدة) لقد سقته إلى جنون مطبق..... جنون لا شفاء منه .....جنون لا حدود له.... كان الأمر مضحكا...صدقني.... عندما كنت ألهو به ...كنت أضحك من قلبي طوال الوقت، هذا لو كان لي قلب.

البروفيسور روبيك: وأين هو الآن؟

إيرينة: بالأسفل في مقبرة عليها شاهد عال وأنيق وفي جمجمته استقرت رصاصة.

البروفيسور روبيك: هل قتل نفسه؟

إيرينة: نعم. لقد سبقني.

البروفيسور روبيك: أما حزنت عليه يا إيرينة؟

إيرينة: (مندهشة) أحزن؟ على من؟

البروفيسور روبيك: على السيد ساتوف بالطبع.

إيرينة: لم يكن اسمه ساتوف.

البروفيسور روبيك: أما كان اسمه ساتوف فعلا؟

إيرينة: زوجي الثاني كان اسمه ساتوف. لقد كان روسيا....

البروفيسور روبيك: وأين هو؟

إيرينة: بعيدًا في أقاصي جبال الأورال بين مناجم الذهب.

البروفيسور روبيك: هل يعيش هناك؟

إيرينة: (تهز كتفيها مستهجنة) يعيش؟ يعيش؟ في الواقع لقد قتلته بنفسي....

البروفيسور روبيك: (يجفل) قتلته...!

إيرينة: قتلته بسكين حادة النصل رائعة كنت أحتفظ بها دائما في فراشي...

البروفيسور روبيك: (بانفعال) أنا لا أصدقك يا إيرينة!

إيرينة: (بابتسامة خفيفة) لا. صدقني يا أرنولد.

البروفيسور روبيك: (ينظر إليها مشفقا) أما أنجبت أطفالا قط؟

إيرينة: نعم، لقد أنجبت كثيرا من الأطفال.

البروفيسور روبيك: وأين أطفالك الآن؟

إيرينة: قتلتهم.

البروفيسور روبيك:(بحدة) الآن ها أنت تكذبين على مرة أخرى!

إيرينة: أقسم لك أنني قتلتهم دون شفقة.... كنت أقتلهم بمجرد أن يصلوا إلى هذا العالم.أوه، قبل أن يصلوا إليهبزمن طويل جدًّا . قتلتهم الواحد تلو الآخر.

البروفيسور روبيك: (بحزن وبجدية) هناك شيء خفي وراء حديثك هذا.

إيرينة: وماذا عليَّ أن أفعل؟ كل كلمة أقولها لك يُهمس بها في إِذَنْي.

البروفيسور روبيك: أعتقد أنني الشخص الوحيد الذي يفهم المعنى الخفي وراء كل ما تقولين.

إيرينة: من المفترض أن تكون أنت الشخص الوحيد.

البروفيسور روبيك: (يضع يديه على المنضدة وينظر لها بإمعَان) هناك أوتارا بداخلك تقطعت.

إيرينة: (بلطف) ألا يحدث هذا دائما عندما تموت امرأة شابة تنبض بالحياة؟

البروفيسور روبيك: أوه يا إيرينة كفي عن تلك الخيالات الوحشية... ! أنتِ حية !.... حية !...حية!

إيرينة:(تنهض من مقعدها ببطء وتقول بتأثر) لقد مت منذ أعوام طويلة. لقد جاءوا وأوثقوني. قيدوا ذراعي خلف ظهري.....ثم ألقوا بي في مقبرة على نوافذها قضبان حديدية وحوائطها مبطنة .... حتى لا يسمع أحد ممن هم بالأعلى صرخات القبر .... إلا أنني الآن أبدأ في القيام من بين الأموات.

(تجلس ثانية)

البروفيسور روبيك: (بعد فترة صمت) وأنت تعتبريني السبب في كل هذا؟

إيرينة: نعم.

البروفيسور روبيك: أنا السبب .... فيما تسمينه موتك ؟

إيرينة: أنت السبب في أنني كان لابد أن أموت. (تغير لهجتها لأخرى تحمل لا مبالاة) لم لا تجلس يا أرنولد؟

البروفيسور روبيك: هل أتجرأ وأجلس؟

إيرينة: نعم ... وفي إمكانك ألا تخشي أن ترتعش من البرد فلا أظن أنني تجمدت بعد.

البروفيسور روبيك: (يحرك كرسيا ويجلس إلى منضدتها) انظري يا إيرينة، ها نحن الاثنين نجلس سويا كما كنا نفعل في الماضي.

إيرينة : مبتعدان قليلًا عن بعضا البعض كما كنا في الماضي.

البروفيسور روبيك: (يقترب منها أكثر) كان من المحتم أن نفعل ذلك حينها.

إيرينة: من المحتم؟

البروفيسور روبيك: (بحزم) كان لابد أن تكون هناك مسافة بيننا....

إيرينة: هل كان ذلك حتميا يا أرنولد؟

البروفيسـور روبيك: (يواصـل) أتذكرين إجابتك عندما سـألتك إذا كنت مسـتعدة أن تتركي كل شيء وتتبعيني بعيدًا إلى كل ممالك العالم؟-

إيرينة: لقد تركت كل شيء وتبعتك إلى كل ممالك العالم وتفانيت من أجلك....

البروفيسور روبيك: باعتبارك موديلا لعملي الفني....

إيرينة:... صادقة ، عارية تماما.

البروفيسور روبيك: (متأثرا) ولقد تفانيت في خدمتي فعلا يا إيرينة. ... بكل شجاعة.... وبكل فرح وسرور.

إيرينة: نعم تفانيت في خدمتك بكل نبضة من نبضات شبابي!

البروفيسور روبيك: (يومئ وفي عينيه نظرة امتنان) لك الحق في أن تقولي هذا.

إيرينة: خدمتك وأنا أصلي وأوصي الملائكة يا أرنولد! (تمد يديها المعقودتين نحوه) ولكن أنت، أنت، أنت...!

بروفيسور روبيك: (مدافعاعن نفسه) لم أرتكب جرما في حقك أبدا يا إيرينة ! أبدا!

إيرينة: بلى ارتكبت! ارتكبت جرما ضد أعمق غرائزي الطبيعية الكامنة....

البروفيسور روبيك: (يجفل متراجعا) أنا....!

إيرينة: نعم ....أنت! لقد عرضت نفسي لنظراتك وأنا أقف أمامك عارية تماما دون تحفظ...(بصوت أخفت) ولم تلمسني مرة واحدة .

البروفيسور روبيك: ألم تدركي يا إيرينة كم مرة كدت فيها أن أتهاوى أمام جمالك؟

إيرينة: (تواصل بثبات) ومع ذلك.... أظن لو أنك لمستني لكنت قد قتلتك في الحال ذلك لأنني كنت أحمل معي دائما إبرة حادة مخبئة في شعري.... (تمسح جبهتها وهي - تفكر) ولكن نعم.... لا رغم ذلك، ....رغم ذلك : ....أنت استطعت .....

البروفيسور روبيك: (يحملق فيها بتأثر) لقد كنت فنانا يا إرينة.

إيرينة :(بغموض) بالضبط. بالضبط.

البروفيسور روبيك: كنت أولا فنانا وكنت محموما بالرغبة في إنجاز أعظم عمل فني في حياتي.(ساهما) ... كان من المفترض أن يطلق عليه" يوم البعث".... وكان من المفترض أن يُصاغ على هيئة امرأة في ريعان الشباب تُبعث من الموت ....

إيرينة: نعم، طفلنا.

البروفيسور روبيك: (يواصل الحديث) كان من المفروض أن تكون امرأة نبيلة ونقية ومثالية. امرأة يجب أن تُبعث ثم وجدتك... وكان بوسعي أن أستغلك في كل شيء ...وقبلت بمحض إرادتك أن تتبعيني بفرح ونبذت أهلك وموطنك والتصقتِ بي.

إيرينة: كان رحيلي معك بالنسبة لي بعثا لطفولتي.

البروفيسور روبيك: ولذا كنت أستغلك أنتِ وحدك دون غيرك وأصبحت بالنسبة لي مخلوقا مقدسا لا يمكن لمسه إلا في ذهن متعبد. في تلك الأيام كنت لا أزال صغيرا يا إيرينة. ولقد تملكتني حينذاك الخرافات.. ...خرافة تصور لي لو أني لمستك أو اشتهيتك بحواسي فإن روحي سوف تتدنس ومن ثم فلن يكون في مقدوري أن أبلغ ما كنت أريده .

إيرينة: (تومئ بشيء من الازدراء) العمل الفني أولا ثم يأتي الطفل.

البروفيسور روبيك: لكِ أن تحكمي عليَّ كما تشائين غير أني كنت في ذلك الوقت خاضعا كليا لهذا العمل العظيم..... وكنت مبتهجا به غاية الابتهاج.

إيرينة: واستطعت أن تنجز مهمتك يا أرنولد.

البروفيسور روبيك: بفضلكِ وبركتك أنتِ استطعت أن أنجز المهمة. كنت أريد خلق المرأة الطاهرة التي لابد أن تستيقظ يوم البعث. ولا تندهش من أي شيء جديد غامض مجهول ولكنها مغمورة بفرح قدسي لأنها وجدت نفسها كما كانت دون أن تتغير .... هي المرأة المخلوقة من الطين.... وقد تسامت إلى آفاق أسعد وأسمى وأكثر انطلاقا بعد غفوة الموت الطويلة.(بصوت أخفت) هكذا خلقتها وصنعتها لتأخذ صورتك يا إيرينة.

إيرينة: (تمد يديها على المنضدة ثم تستند إلى ظهر كرسيها) وقد انتهيت مني بانتهاء مهمتك.

البروفيسور روبيك: (مؤنبا) إيرينة!

إيرينة: لم تعد في حاجة لي...

البروفيسور روبيك: كيف يمكنك أن تقولي هذا الكلام؟

إيرينة: ... وبدأت تبحث حولك عن مثل عليا أخرى....

البروفيسور روبيك:لم أجد أحدا بعدك مطلقا.

إيرينة: ولا أي موديل آخر يا أرنولد؟

البروفيسور روبيك: لم تكوني مجرد موديلا بل كنتِ منبع إلهامي.

إيرينة: (لحظة صمت) وماذا خلقت منذ ذلك الحين؟ أعني من الرخام منذ اليوم الذي رحلت فيه عنك.

البروفيسور روبيك:لم أصنع شيئًا بعد ذلك اليوم... فقط بددت حياتي في صب بعض القوالب.

إيرينة: وتلك المرأة التي تعيش معها الآن ....؟

البروفيسور روبيك: (قاطعها محتدا) لا تتحدثي عنها الآن! إن ذلك يحز في قلبي.

إيرينة: إلى أي مكان تفكر في الذهاب بصحبتها؟

البروفيسور روبيك: (بملل وضجر) أوه، أظن رحلة طويلة على السواحل نحو الشمال.

إيرينة: (تنظر إليه وتبتسم دون أن يلاحظ وتهمس) من الأنسب لك أن تسافر إلى أعالي الجبال، إلى أعلى ما يمكن الوصول إليه. عاليًا، عاليًا ....دائما إلى الأعالي يا أرنولد.

البروفيسور روبيك: (في لهفة وترقب) أتريدين الصعود إلى الأعالي؟

إيرينة: وهل لديك الجرأة لتقابلني مرة أخرى؟

البروفيسور روبيك: (يناضل ويتردد) أوه ، لو كان في مقدوري فقط .... أوه ... لو كان في مقدوري...!

إيرينة: ولما لا نستطيع أن نفعل ما نريد؟ (تنظر إليه وتهمس متوسلة وقد عقدت يديها في وضع صلاة) هيا، هيا يا أرنولد! تعال معي....!

(تدخل مايا وقد انتابتها سعادة شديدة ومن خلفها يبدو الفندق وتذهب بسرعة نحو المنضدة حيث كانا يجلسان في السابق)

السيدة مايا : (لا تزال في زاوية الفندق ودون أن تتلفت حولها) لا ، تستطيع أن تقول ما تشاء يا روبيك، و.... (تتوقف وترى إيرينة) عذرا . واضح أنك تعرفت على أحدهم.

البروفيسور روبيك: (باقتضاب) جددت المعرفة....(ينهض) ما الذي تريدينه مني؟

السيدة مايا : أردت فقط أن أقول: تستطيع أن تقول ما تشاء..... ولكني لن أذهب معك في تلك الباخرة التي تثير الاشمئزاز.

البروفيسور روبيك: ولم لا ؟

السيدة مايا: ذلك لأني أريد الصعود إلى أعالي الجبال وإلى الغابات ... هذا ما أريده. (تتملقه) أوه، يجب أن تسمح لي بذلك يا روبيك سأكون مطيعة جدا من الآن فصاعدا!

البروفيسور روبيك :من وضع تلك الأفكار في رأسك؟

السيدة مايا : إنه صياد الدببة الفظيع. أوه، أنت لا تستطيع أن تتخيل كل تلك الأشياء الرائعة التي يرويها عن الجبال. وعن الحياة هناك ...في الأعالي! إن معظم حكاياته بشعة وبغيضة ومقززة لأني أعتقد أنه يكذب غالبا. ولكن كم هي جذابة بشكل رائع . أوه، هل تسمح لي بالسفر معه؟ لمجرد أن أرى ما إذا كان ما يقوله صحيحا أم لا ... هل تفهم؟هل تسمح لي يا روبيك؟

البروفيسور روبيك : نعم. ليس لدي أدنى اعتراض. هيا اذهبي إلى الجبال.... ابتعدي بقدر ما تستطيعين. وقد أتوجه إلى نفس الطريق مثلك.

السيدة مايا :(بسرعة) لا، لا،لا. لست في حاجة لأن تفعل ذلك. لا تفعله من أجلي!

البروفيسور روبيك: إني راغب في الصعود إلى الجبال.لقد قررت الآن.

السيدة مايا : أوه. شكرا ،شكرا .هل أستطيع أن أخبر صياد الدببة فورا ؟

البروفيسور روبيك: اخبري صياد الدببة بما يحلو لك.

السيدة مايا : أوه، شكرا ، شكرا، شكرا.(تريد أن تمسك يده ولكنه يمنعها)كم أنت طيب ولطيف اليوم يا روبيك.

(تجري إلى الفندق)

(في نفس الوقت يفتح باب جناح الحديقة بخفة وبلا صوت وتقف الراهبة بالباب ترقب إيرينة بعناية دون أن يراها أحد.)

البروفيسور روبيك: (يلتفت إلى إيرينة ويقول في حزم) هل سنتقابل هناك إِذَنْ في أعالي الجبال؟

إيرينة: (تنهض ببطء) نعم .من المؤكد أننا سنتقابل ...لقد بحثت عنك طويلا .

البروفيسور روبيك: متى بدأت البحث عني يا إيرينة؟

إيرينة: (في صوت مازح تشوبه المرارة) منذ اللحظة التي أدركت فيها أني أعطيتك شيئًا من العسير أن أخسره يا أرنولد. شيئًا يجب ألا أنفصل عنه أبدا.

البروفيسور روبيك: (يومئ) نعم. تلك هي الحقيقة المُرة. لقد منحتيني ثلاث أو أربعة أعوام من سنوات شبابك.

إيرينة: أعطيتك أكثر من ذلك بكثير. حينها كنت مسرفة ....هكذا كنت.

البروفيسور روبيك: نعم .كنتِ مسرفة يا إيرينة. لقد منحتيني كل جمالك العاري. ..

السيدة إيرينة :.... لكي تحملق فيه....

البروفيسور روبيك: .....ولكي أمجده...

إيرينة: من أجل مجدك الشخصي... ومن أجل طفلك.

البروفيسور روبيك: ومن أجل مجدك أنتِ أيضا يا إيرينة.

إيرينة: ولكنك نسيت أثمن عطية.

البروفيسور روبيك: أثمن...؟ ماذا كانت تلك العطية؟

إيرينة: أهديتك روحي الشـــابة الحية ...وتلك العطية تركتني فارغة من الداخل..... بلا روح. (تنظر إليه بجمود) هذا ما جعلني أموت يا أرنولد.

(تفتح راهبة الرحمة الباب على مصراعيه وتفسح لها وتدخل الجناح.)

البروفيسور روبيك: (يقف ويتتبعها بعينيه ويهمس) إيرينة!

ستار

الفصل الثاني

(المكان قرب منتجع علاجي جبلي والمشهد الطبيعي يترامى منبسطا فوق مرتفعات جبلية شاسعة لا أشجار فيها تنتهي عند بحيرة جبلية طويلة من ورائها تبدو قمم الجبال على الناحية الأخرى من النهر وقد كُســـيت بالجليد الأبيض المائل إلى الزرقة . في المقدمة إلى اليســار نبع صـغير يصـب في جدول ماء منحدر من الجبل ثم يتجه بعد ذلك منســابا في رفق فوق المرتفعات حيث

يختفي ناحية اليمين. تحف بمجرى النبع شـجيرات ونباتات وصـخور.و إلى الأمام جهة اليمين يوجد مقعد من الحجر أعلى مطلع الجبل. يوم من أيام الصيف قبيل الغروب.)

(وهناك على بعد من المرتفعات على الجانب الآخر من النبع الصــغير ويلعب حشــد من الأطفال ويرقصــون ويغنون. بعضــهم يرتدي ملابس الفلاحين والبعض الآخر يرتدي لباسا شعبيا. يمكن سماع ضحكاتهم السعيدة خافتة نظرا لبعدها، وفي هذه الأثناء يجري ما يلي)

(يجلس البروفيسور روبيك على المقعد وعلى كتفيه بطانية يتطلع إلى الأطفال وهم يمرحون.)

(وبعد قليل تقبل السـيدة مايا من بين الشـجيرات جهة اليسـار وتنظر إلى الأفق وهي تظلل عينيها بيدها وترتدي قبعة سـياحية مسطحة وتنورة قصيرة تصل إلى منتصف ساقيها. وحذاء عالي الرقبة به رباط وفي يدها عصا طويلة.)

السيدة مايا : (أخيرا تلمح روبيك وتنادي) أهلا!

(تتقدم فوق المرتفعات وتعبر النبع بمساعدة العصا ثم تتسلق التل.)

السيدة مايا : (لاهثة) أوه، كم جريت بحثا عنك يا روبيك!

البروفيسور:(يومئ بلا اكتراث ويسأل) هل جئت من المنتجع ؟

السيدة مايا : نعم. هذا آخر مكان كنت فيه... المكان الذي يشبه مصيدة الذباب الذي أوشك على الموت.

البروفيسور روبيك: (ينظر إليها برهة) لاحظت أنك لم تكوني على مائدة الغذاء.

السيدة مايا : لا، فقد تناولنا طعامنا في الهواء الطلق، نحن الاثنين.

البروفيسور روبيك:"نحن الاثنين"؟ أي اثنين؟

السيدة مايا : أنا... وصياد الدببة البشع بالطبع.

البروفيسور روبيك: حقًّا، هو ؟

السيدة مايا : نعم، وفي صباح الغد سنصعد الجبل.

البروفيسور روبيك: تطاردان الدببة؟

السيدة مايا : نعم. سنصعد لنقتل دبا.

البروفيسور روبيك: وهل وجدتما أي أثر لأي دب؟

السيدة مايا : (بتفاخر) حسب علمي لا توجد دببه هنا في الجبال الجرداء.

البروفيسور روبيك: وأين توجد إِذَنْ؟

السيدة مايا : بعيدًا ، هناك في الأسفل ، في السفوح ، وفي الغابات الكثيفة حيث لا يستطيع أحد من سكان المدينة أن يخترقها....

البروفيسور روبيك: وستهبطان كلاكما إليها غدا؟

السيدة مايا : (ترتمي على الحشائش) نعم، هذا مارتبنا له..... وربما ننطلق الليلة ..... إذا لم يكن لديك مانع بالطبع؟

البروفيسور روبيك: أنا؟لا، مطلقا...

السيدة مايا : (بسرعة) بالمناسبة سوف يأتي لارش معنا بالطبع.... ومعه الكلاب.

البروفيسور روبيك: لا أعرف شيئًا عن السيد لارش ولا عن كلابه. (يغير الموضوع) ألا تريدين الجلوس على المقعد هنا؟

السيدة مايا :(تكاد تنعس) لا، شكرا ، فإني أرقد هنا على الحشائش الناعمة.

البروفيسور روبيك: أرى النعاس يغلب عليك.

السيدة مايا : (تتثاءب) أظنني متعبة فعلا.

البروفيسور روبيك: دائما تنتابك تلك الحالة بعد انتهاء الإثارة...

السيدة مايا : (في صوت ناعس) نعم، سأنام وأغمض عيني.

(صمت قصير)

الســيدة مايا : (في ضــيق مفاجئ) أوف يا روبيك!....كيف تحتمل الجلوس هنا وســط صراخ هؤلاء الأطفال، والنظر إليهم وهم يقفزون هكذا!؟

البروفيسور روبيك: هناك شيء من التناغم في حركاتهم.... يشبه الموسيقى..... في بعض الأحيان . ورغم كل تلك الضوضاء هناك شيء مثير عندما يجلس المرء ويشاهدهم ....وعندما يقبلون عليه.

السيدة مايا : (تضحك بشيء من الاحتقار) نعم، أنت دائما، أبدا فنان.

البروفيسور روبيك: وأفضل أن أبقى فنانا.

السيدة مايا : نعم، ليس به أي لمحة من الفنان . ولا أية لمحة مطلقا.

البروفيسور روبيك: (ينتبه) من هو الذي ليس فنانا ؟

السيدة مايا: هذا الآخر طبعا .

البروفيسور روبيك: أتقصدين صياد الدببة؟

السيدة مايا: ليس به أي شيء من الفنان، ولا لمحة واحدة.

البروفيسور روبيك: (يبتسم) نعم، أظن أنك محقة.

السيدة مايا : (بحماسة ودون أن تتحرك) كم يبدو قبيحا كذلك! (تنزع بعض الحشائش وترميها بعيدًا) قبيحا ، قبيحا! أوف!

البروفيسور روبيك: ألهذا السبب لست خائفة من السفر معه ...إلى الغابات البرية؟

السيدة مايا : (باقتضاب) لست أدري. (تلتفت إليه) وأنت أيضا قبيح يا روبيك.

البروفيسور روبيك: ألم تكتشفي ذلك إلا الآن؟

السيدة مايا : لا، بل اكتشفته منذ زمن طويل.

البروفيسور روبيك: (يهز كتفيه) إن الإنسان يشيخ ... الإنسان يشيخ يا مايا.

السيدة مايا : ليس هذا ما أقصده.ولكن في عينيك نوع من اليأس ، الملل التام....عندما تلقي عليَّ نظرة متعالية بين حين وآخر.

البروفيسور روبيك: هل لاحظت ذلك؟

السيدة مايا :(تومئ) هذه النظرة الشريرة أخذت تتبدى في عينيك شيئًا فشيئًا، وكأنك تدبر مكيدة سرية ضدي.

البروفيسور روبيك: حقًّا؟ (بمودة ولكن بجد)تعالي هنا واجلسي إلى جانبي يا مايا . ودعينا نتحدث قليلًا.

السيدة مايا : (تنهض قليلًا) هل تسمح لي بالجلوس على حجرك، كما اعتدت أن أفعل في الماضي؟

البروفيســـور روبيك: لا، لا تفعلي ذلك ، فالناس قد يروننا من الفندق.(يتحرك قليلًا) ولكنك تســـتطيعين الجلوس هنا على المقعد...بجانبي.

السيدة مايا : لا، شكرا. سأظل مستلقية في مكاني، وفي وسعي أن أسمعك بوضوح من هنا.(تنظر إليه في تساؤل) حسنا، ماذا تريد أن تقول لي؟

البروفيسور روبيك: (يبدأ ببطء) ما هو السبب الحقيقي الذي جعلني أقوم بهذه الرحلة الصيفية في رأيك؟

السيدة مايا : أه... أذكر أنك قلت من بين أسباب أخرى أنها ستكون مفيدة لي ولكن ....

البروفيسور روبيك: لكن....؟

السيدة مايا : ولكنني الآن لا أصدق بأي حال أن هذا هو السبب....

البروفيسور روبيك: ماذا تظنين إنه السبب إِذَنْ؟

السيدة مايا : أظن أن السبب هو تلك السيدة ذات الوجه الشاحب.

البروفيسور روبيك:السيدة فون ساتوف...!

السيدة مايا : نعم ، هي. تلك التي تتعقبنا دائما. وبالأمس ظهرت هنا أيضا.

البروفيسور روبيك: ما هذا الذي تقولينه...؟!

السيدة مايا : أوه، أنا أعرف أنك تعرفها جيدا قبل أن تعرفني بزمن طويل.

البروفيسور روبيك: وكنت قد نسيتها أيضا ..... قبل أن أعرفك بزمن طويل.

السيدة مايا : (تعتدل وتجلس) هل من الممكن أن تنسى هكذا بسهولة هكذا يا روبيك؟

البروفيسور روبيك: (باقتضاب) نعم بكل سهولة. (يضيف بصوت خشن) عندما أريد أن أنسى.

السيدة مايا : تنسى حتى المرأة التي كانت تقف أمامك كموديل ؟

البروفيسور روبيك: (معترضا) عندما لا أكون في حاجة إليها مرة أخرى فا ....

السيدة مايا : امرأة وقفت أمامك عارية؟

البروفيســـور روبيك: هذا لا معنى له..... لا معنى له -عندنا نحن الفنانين. (يغير لهجته)والآن هل لي أن أتجرأ وأتســـاءل كيف كان يمكن أن أعرف أنها هنا في هذا البلد؟

السيدة مايا : أوه، ربما قرأت اسمها في قوائم الزوار على السفن القادمة...في صحيفة ما.

البروفيسور روبيك: نعم، ولكنني لم أكن أعلم شيئًا عن الاسم الذي تحمله الآن. ولم أسمع قط عن السيد فون ساتوف.

السيدة مايا : (تتظاهر بالتعب) أوه، يا الله! هناك سبب آخر إِذَنْ جعلك تصر على القيام بهذه الرحلة.

البروفيسـور روبيك: (بجدية) نعم يا مايا ...كان هناك سـبب آخر. سـبب مختلف تماما، وهذا ما يجب أن نتكلم عنه إن آجلا - أو عاجلا.

السيدة مايا : (تضحك ضحكة مكتومة) كم تبدو رسميا!

البروفيسور روبيك: (ينظر إليها في شك) نعم، ربما رسميا أكثر مما ينبغي.

السيدة مايا : وكيف...؟

البروفيسور روبيك: إن هذا أمر مفيد جدًّا لكلينا.

السيدة مايا : هل تثير فضولي يا روبيك؟

البروفيسور روبيك: فضول فقط؟ ألم تشعري بالقلق أبدا؟

السيدة مايا :(تهز رأسها) مطلقا.

البروفيسور روبيك: حسنا. اسمعي إِذَنْ....أنتِ قلتِ يوم أن كنا في الحمامات أنني أصبحت عصبيا في الفترة الأخيرة...

السيدة مايا : نعم، أنت عصبي جدا.

البروفيسور روبيك: وما سبب ذلك في ظنك؟

السيدة مايا : ومن أين لي أن أعرف...؟(بسرعة) لعلك سئمت صحبتي الدائمة؟

البروفيسور روبيك: الدائمة....؟ لماذا لا تقولين " الأبدية"؟

السيدة مايا : فلتكن صحبتنا اليومية إِذَنْ ، فنحن سويا منذ أربع أو خمس سنوات ولم نفترق عن بعضنا البعض ساعة واحدة..... نحن الاثنين فقط.

البروفيسور روبيك: (باهتمام) حقًّا ؟ ثم...؟

الســيدة مايا : (محبطة بعض الشيـء) أنت لســت اجتماعيا يا روبيك، أنت تحب أن تبقى وحيدا وأن تقوم بعملك بمفردك ولا يمكنني أن أتحدث معك عنه بجدية ولا عن كل الأمور التي تخص الفن وما إلى ذلك.(تفتح ذراعيها) وأقسم أنني لم أعد أهتم بهذا الأمر!

البرةفيسور روبيك: نعم ، نعم، وهذا ما يجعلنا نجلس حول المدفأة ونتكلم عن شؤونك أنتِ.

السيدة مايا : يا الله...! ليس لدي شؤون أتحدث عنها.

البروفيسور روبيك: لابأس، ربما كان هناك بعض الشؤون البسيطة، ومر الوقت ونحن على هذا الحال يا مايا.

السيدة مايا : نعم، أنت على حق ، مر الوقت ، ويوشك أن يفلت منك يا روبيك .... و هذا هو السبب الذي يجعلك قلقا....

البروفيســور روبيك: (يومئ في حماس) قلق جدًّا! (يتلوى وهو جالس على المقعد) فعلا، لم أعد أحتمل تلك الحياة الخاوية بعد الآن.

السيدة مايا : (تنهض وتقف لحظة وتنظر إليه) إذا كنت تريد أن تتخلص مني، فما عليك إلا أن تقول ذلك.

البروفيسور روبيك:كيف تتحدثين بهذه الطريقة؟ أتخلص منك؟

السيدة مايا : نعم، إذا أردت أن تتخلص مني فقل ذلك مباشرة وسأرحل على الفور.

البروفيسور روبيك: (بابتسامة لا تكاد تُرى) هل هذا تهديد يا مايا ؟

السيدة مايا : ما قلته لا يمكن أن يكون تهديدا لك.

البروفيســـور روبيك: (ينهض) نعم، أظنك على حق في ذلك.. (بعد فترة صـــمت) من المســـتحيل أن نســـتمر أنا وأنت في حياة كهذه.....

السيدة مايا : ثم....!؟

البروفيسور روبيك: ليس هناك "ثم" في هذا الأمر. (يضغط على نطقه للكلمات) فليس معنى أننا لا نستطيع الحياة سويا .... أننا في حاجة إلى الطلاق.

السيدة مايا : (تبتسم في احتقار) أتعني أن نفترق لفترة قصيرة؟

البروفيسور روبيك:(يهز رأسه) حتى هذا ليس ضروريا.

السيدة مايا : فماذا إِذَنْ؟ قل ما تريد فعله معي مباشرة.

البروفيسـور روبيك: (بشيء من التردد) ما أشـعر به حقًّا الآن.....وهو شيء محرج .... إنني في حاجة لأن أمتلك شـخصا كان في يوم ما قريب مني جدًّا.

السيدة مايا : (تقاطعه في حماس) وهل أنا لست كذلك يا روبيك؟

البروفيســور روبيك: (يشــوح بيده) ليس هذا المعنى الذي أقصــده. لابد أن أعيش مع شــخص آخر يمكنه أن يملأني ويجعلني كاملا....- ويلتصق بي ونكون جسدا واحدا-
-

السيدة مايا : (ببطء) في الحقيقة هذه أشياء عسيرة لا يمكنني أن أخدمك وأقوم بها.

البروفيسور روبيك: أوه. لا. من المؤكد أنك لن تستطيعي أن تخدميني فيها يا مايا.

السيدة مايا : (بانفعال مفاجئ)ويعلم الله أنني لا أرغب في أن أخدمك فيها.

البروفيسور روبيك: أعلم ذلك جيدا.... عندما ارتبطت بك لم أكن أتوقع منك ذلك.

السيدة مايا : (تنظر إليه نظرة متفحصة) أستطيع أن أرى في وجهك أنك تفكر في شخص آخر .

البروفيسور روبيك: أحقًّا؟ لم ألحظ قط من قبل أنك قارئة أفكار. ولكن معنى ذلك أن بوسعك قراءتها؟

السيدة مايا : نعم، استطيع أن أرى ذلك وأنا أعرفك جيدا يا روبيك.

البروفيسور روبيك: ربما استطعتِ أيضا أن تعرفي فيمن أفكر؟

السيدة مايا : نعم، بالفعل أعرف.

البروفيسور روبيك: أحقًّا؟ أيمكنك لو تسمحين أن ...؟

السيدة مايا : أنت تفكر في تلك....الموديل التي استخدمتها ذات يوم.... (تغير الموضوع) أتعلم أن الناس في الفندق يعتقدون أنها مجنونة؟

البروفيسور روبيك: حقًّا؟ وماذا يعتقد هؤلاء الناس عنكِ وعن صياد الدببة؟

السيدة مايا : إن هذا لا صلة له إطلاقا بالموضوع. (تواصل إطلاق العنان لأفكارها) ولكن أنت كنت تفكر في السيدة ذات الوجه الشاحب .

البروفيسور روبيك: (بهدوء) بالضبط. لقد كنت أفكر فيها.....عندما لم أعد في حاجة إليها.... قررت هي أن تتركني وتسافر.....اختفت .... هكذا دون سبب.

السيدة مايا : إِذَنْ ربما تكون قد استبدلتها بي؟

البروفيسـور روبيك: (بمزيد من اللامبالاة) للصراحة إنه شيء من هذا القبيل أيتها الصـغيرة مايا. لقد عشـت عاما أو عاما ونصـف وحيدا هناك مسـتغرقا في التفكير بينما أضـع اللمسـات الأخيرة لعملي الفني " يوم البعث" الذي طاف حول العالم وجلب لي الشـهرة.... كما جلب لي كل شيء آخر يصـبو له القلب.(بمزيد من الدفيء) غير أني لم أعد أحب عملي ولا ما قدمه لي البشر ـ من زهور ومديح يجعل الشـعور بالغثيان والحيرة يطاردني مما جعلني أخبئ نفسي ـ داخل الغابات الكثيفة.(ينظر إليها) وأنت يا قارئة الأفكار.... هل في مقدورك أن تخمني ما فكرت فيه حينذاك ؟

السيدة مايا : (بلامبالاة) قمت بصنع تماثيل نصفية للرجال والنساء.

البروفيسـور روبيك: (يومئ) حسـب طلبهم ، نعم. وكان هنـاك وجوه لحيوانـات خلف الأقنعـة يـأخـذونهـا بلا مقـابـل. أتفهمين؟(يبتسم) ولكن ليس هذا تحديدا ما يدور في ذهني.

السيدة مايا : فما هو إِذَنْ؟

البروفيسـور روبيك :(بجد مرة أخرى) الأمر يتعلق بنداء الفن ورسـالته..... وما إلى ذلك .. فأنا كنت قد بدأت أشـعر بأنها مجرد عبارات فارغة خاوية جوفاء لا معنى لها أساسا.

السيدة مايا: وبماذا تريد أن تستبدل كل هذا؟

البروفيسور روبيك: الحياة يا مايا.

السيدة مايا : الحياة؟

البروفيسور روبيك: أليست الحياة تحت ضوء الشمس وبين أحضان الجمال أفضل بكثير من التشبث حتى نهاية العمر بثقب بارد رطب وأفضل من استهلاك النفس في كفاح مرير مع كتل الصلصال وقطع الصخور.

السيدة مايا :(تتنهد تنهيدة خفيفة) نعم ... كنت أعتقد ذلك طوال عمري.

البروفيسور روبيك: ثم بعد ذلك أصبحت غنيا بالقدر الذي يمكنني من أن أحيا حياة مرفهة وأن أجلس مسترخيا تحت أشعة الشمس المتلألئة ... وأن أبني لنفسي فيلا مطلة على بحيرة تونيتز وأن أبني لنفسي قصرا صغيرا في العاصمة وما إلى غير ذلك.

السيدة مايا : (تقلد لهجته) وكان لديك مالا يكفي لأن تحصل عليَّ أيضا ثم أذَنْت لي أن استخدم كل كنوزك.

البروفيسور روبيك: (يمزح حتى يغير الحديث) أما وعدتك أن أصعد بك إلى جبل عالٍ لأريك كل أمجاد العالم؟

السيدة مايا : (بتعبير لطيف) يبدو أنك صعدت بي إلى جبل عال جدًّا يا روبيك غير أنك لم تريني كل أمجاد العالم.

البروفيسور روبيك: (يضحك بضيق) كم أنتِ ناقمة يا مايا ، من المستحيل أن أرضيكِ.(بانفعال وعنف) ولكن هل تعلمين ما أكثر شيء يحيرني يا مايا؟ أيمكنك أن تخمني؟

السيدة مايا :(بهدوء وفي تحد) أظن أنه ارتباطك بي....مدى الحياة.

البروفيسور روبيك: لا أريد أن أعبر عما في نفسي بكلمات بمثل هذه القسوة.

السيدة مايا : ولكني أرى أنك كنت تعني هذا بمثل هذه القسوة.

بروفسور روبيك: أنتِ لا تعرفين أعماق طبيعة الفنان.

السيدة مايا :(تبتسم وتهز رأسها) يا الله! أنا نفسي لا أعرف أعماق طبيعتي.

البروفيســـور روبيك: (يتكلم في ثبات) إني أعيش حياة إيقاعها سريـع يا مايا . نحن الفنانين نعيش هكذا وأنا من جانبي قد عشـــت حياة حافلة في السـنوات القليلة التي عرف فيها كل منا الآخر. ولقد وصـلت إلى مرحلة أدركت فيها أنني لسـت ممن تتلاءم حياتهم مع بحث عن سـعادة تكمن في الاسـتمتاع والتراخي. فالحياة بهذه الطريقة لا تناسـبني ولا تناسـب من هم مثلي. يجب أن أسـتمر في العمل.... وفي إنتاج عمل تلو الآخر.... إلى آخر رمق في حياتي. (يجبر نفسه على الاستمرار) وهذا هو السبب في أني لم أعد أستطيع العيش معك يا مايا ...معك بمفردك.

السيدة مايا : (بهدوء) هل معنى ذلك ببساطة أنك مللت مني؟

البروفيســـور روبيك: (ثائرا) نعم. هذا هو معناه! لقد مللت .... مللت وســئمت بشــدة من العيش معكِ! ها أنتِ قد عرفتِ الآن. (يكبح جماح نفســه) ها أنا أوجه لكِ كلمات قاســية وقبيحة. وأنا نفسيـ أشــعر بذلك وليس لكِ ذنب في هذا: وأنا أعترف بذلك صراحة. فالأمر هو أنني ، أنني فقط.... الذي طرأ عليه تغير شامل.(كأنه يحدث نفسه) ... في سبيل بعث حياتي الحقيقية.

السيدة مايا : (تعقد يديها لا إراديا) في هذه الحالة لماذا لا نفترق بحق السماء؟

البروفيسور روبيك: (ينظر إليها في دهشة) أتودين ذلك؟

السيدة مايا : (تهز كتفيها) أه، وإذا لم يكن أمامنا مخرج آخر فا...

البروفيسور روبيك: (بحماس) ولكن هناك مخرجا آخر.هناك مخرج....

السيدة مايا : (ترفع سبابتها في وجهه) والآن ها أنت تفكر في السيدة ذات الوجه الشاحب مرة أخرى!

البروفيسـور روبيك: نعم ..بصراحة لا مفر من التفكير فيها منذ اللحظة التي رأيتها فيها مرة أخرى.(يقترب خطوة) والآن أريد أن أعترف لكِ بسر يا مايا.

السيدة مايا : ماذا؟

البروفيسـور روبيك: (يضرب بيده على صـدره) كما تعرفين هنا في الداخل أحمل خزانة كنوز موصـدة بإحكام تتكدس فيه رؤي النحات الخاصـــة بي ولكنها عندما رحلت اختفت تلك الرؤى تماما وأغلقت الخزانة وأخذت المفتاح.....أخذته معها واختفت.وأنتِ أيتها الصـــغيرة مايا لا تملكين مفتاحاً ولذلك فإن كل شيء بها ســـيظل بلا اســـتخدام وســـوف تمر الأعوام ومن المستحيل أن أصل للكنز.

السيدة مايا : (تحاول أن تخفي ابتسامة ماكرة) إِذَنْ دعها تفتحها لك ثانية...

البروفيسور روبيك: (باستغراب) مايا...؟

السيدة مايا :... نعم، إنها هنا بالفعل ومن المؤكد أنها جاءت هنا من أجل تلك الخزانة.

البروفيسور روبيك: أنا لم أتفوه بكلمة واحدة معها حول هذا الأمر!

السيدة مايا : (تنظر إليه ببراءة) ولكن يا عزيزي روبيك ..... هل يستحق هذا الأمر الواضح كل هذا القلق والمشقة؟

البروفيسور روبيك: أتعتقدين أن الأمر واضح ؟

السيدة مايا : نعم،أعتقد هذا. عليك أن تبقى مع الشخص الذي تحتاجه أكثر.(تومئ إليه) .أستطيع العثور على مكان لي.

البروفيسور روبيك: أي مكان تقصدين؟

الســيدة مايا : (بلا حزن وبلا اكتراث) من الممكن أن أعيش في الفيلا إذا دعت الضرـورة لكن لن تدعو الضرـورة إلى ذلك. لأن في المدينة.... في منزلنا الواسع.... مع توافر النية الطيبة.... سأجد مكانا لثلاثة أفراد.

البروفيسور روبيك:(في شك) وهل تظنين أن ذلك سيصبح محتملا على مدى البعيد؟

السيدة مايا : (بلهجة ناعمة) يا الله!... إذا لم يحدث فلا داعي للحديث في هذا الأمر.

البروفيسور روبيك: وماذا سنفعل.يا مايا.... إذا لم يصبح ذلك محتملا؟

السيدة مايا : (بلا اكتراث) في هذه الحالة سنفترق ببساطة.سنفترق نهائيا. من المؤكد أنني سأجد مكانا آخر في هذا العالم . مكان به حرية!حرية!حرية!هذا الأمر ليس مشكلة ياروبيك. (تشير فجأة إلى اليمين) أنظر! هاهي.

البروفيسور روبيك: (يلتفت) أين؟

السيدة مايا : هناك في السهل المنبسط. إنها توسع الخطى.... كأنها تمثال من الرخام. إنها تتجه نحونا.

البروفيسور روبيك: (يظل يحدق وهو يظلل عينيه بيده))ألا تبدوا وكأنها البعث متجسدا؟ (ساهما) وبالفعل أزحتها...ووضعتها في الظل!وأعيد خلقها مرة أخرى.... فقال له الله يا غبي!
-

السيدة مايا:ماذا تعني بهذا؟

البروفيسور روبيك: (يتجاهل السؤال) لا شيء. لا شيء يمكن أن تستوعبينه.

(تتقدم إيرينة من الجهة اليمنى إلى السهل ، وفي نفس اللحظة يراها الأطفال الذين كانوا يمرحون فيجرون نحوها، هاهم الآن قد أحاطوا بها: وقد بدت على بعضهم الجرأة والثقة بينما تملك البعض الآخر شعورا بالخجل والخوف،تحادثهم بصوت خافت وتقول لهم أن ينزلوا إلى المنتجع وأنها سوف تستريح قليلًا إلى جانب النبع، يجري الأطفال على المنحدر نحو الشمال وقد تراجعوا قليلًا إلى الخلف، تذهب إيرينة إلى جدَّار صخري وتضع يديها تحت الماء المتساقط كي ترطبهما.)

السيدة مايا : (بصوت منخفض) فلتنزل إليها وتحدث معها على إنفراد يا روبيك.

البروفيسور روبيك : وإلى أين ستذهبين أثناء ذلك؟

السيدة مايا :(تنظر إليه نظرة ذات معنى) من الآن فصاعدا سأسلك طريقي الخاص .

(تنزل التل وتعبر النبع وهي تتكئ على عصاها وتقف عند إيرينة)

السيدة مايا : الأستاذ روبيك يقف هناك ينتظرك يا سيدتي.

إيرينة: وماذا يريد؟

السيدة مايا : يريد منكِ أن تساعديه في فتح خزانة قفلها عالق.

إيرينة: وهل في مقدوري أن أساعده في ذلك؟

السيدة مايا : إنه يقول أنكِ الوحيدة التي تستطيعين مساعدته.

إيرينة : عليَّ أن أحاول إِذَنْ.

اسيدة مايا: نعم يا سيدتي ، يجب عليكِ حقًّا.

(تنزل نحو المنتجع.)

(بعد لحظة قصيرة ينزل البروفيسور روبيك إلى إيرينة ، ولكنه يتوقف والنبع يفصل بينهما)

إيرينة: (بعد فترة صمت قصيرة) لقد قالت... تلك الأخرى.... أنك في انتظاري.

البروفيسور روبيك: انتظرتك عاما تلو الآخر.... دون أن أدري.

إيرينة: لم يكن ممكنا أن آتي إليك يا أرنولد لأنني كنت أنام بالأسفل هناك ،نوما - عميقا مليئا بالأحلام.

البروفيسور روبيك: ولكنك استيقظت الآن يا إيرينة!

إيرينة: (تهز رأسها) النوم الثقيل العميق مازال عالقا في أجفاني.

البروفيسور روبيك: سوف ترين أن الشمس ستشرق لنا نحن الاثنين.

إيرينة: لا تصدق ذلك أبدا.

البروفيسور روبيك:(مقاطعا) بل أصدق! وأعلم! وإنني الآن قد عثرت عليكِ مرة أخرى.

إيرينة: بُعثت.

البروفيسور روبيك: متجلية!

إيرينة: بعثت فقط يا أرنولد ولم أتجلى.

(يمشي على الأحجار التي على جانبي النبع مترنحا حتى يصل إليها.)

البروفيسور روبيك: أين كنتِ طوال النهار يا إيرينة؟

إيرينة: (تشير) بعيدًا ، بعيدًا داخل أرض الموت الشاسعة....

البروفيسور روبيك: (يغير الحديث) إنك لست بصحبة.... صديقتك اليوم كما أرى .

إيرينة: (تبتسم) ولكن صديقتي حريصة على مراقبتي رغم ذلك.

البروفيسور روبيك: هل تستطيع ذلك؟

إيرينة: (تتلفت حولها) من المؤكد أنها تســتطيع. ....فهي تعرف أين أكون وأين أذهب ولا أبتعد عن مرمى بصرـها أبدا.(تهمس) وسيظل الأمر كذلك إلى أن يأتي يوم صحو مشمس وأقتلها.

البروفيسور روبيك: أتريدين أن تفعلي هذا؟

إيرينة: أريد ذلك بشدة.... لو كان بوسعي.

البروفيسور روبيك: ولماذا ترغبين في عمل ذلك؟

إيرينة: لأنها تعمل بالسحر والشعوذة. (بغموض) تصور يا أرنولد ... .إنها حولت نفسها إلى ظل لي.

البروفيسور روبيك: (يحاول تهدئتها) لا بأس، لا بأس، لا بأس... كلنا نحتاج إلى ظل.

إيرينة: ولكني ظل نفسي (ثائرة) ألا تدرك ذلك؟

البروفيسور روبيك:(بحزن) نعم، نعم يا إيرينة. أدركه بالطبع.

(يجلس على حجر إلى جانب النبع وتقف هي وراءه مستندة إلى الجدَّار الصخري)

إيرينة: (بعد فترة صمت) لما تجلس هناك وتشيح ببصرك عني؟

البروفيسور روبيك: (بصوت أخفت وهو يهز رأسه) لا أجرؤ ... لا أجرؤ على النظر إليكِ.

إيرينة: ولما لم تعد تجرؤ على النظر إلي؟

البروفيسور روبيك: لكِ ظل يعذبك ولدي أنا ضمير يؤنبني.

إيرينة: (تصيح في فرح وانطلاق) أخيرًا!

البروفيسور روبيك: (يقفز) يا إرينة... ماذا حدث!؟

إيرينة: (تشير إليه لتمنعه) اهدأ ،اهدأ، اهدأ! (تتنفس نفسا عميقا وكأنها أزاحت حملا عن كاهلها) نعم هكذا، الآن تركوني وشأني هذه المرة.... والآن يمكننا أن نجلس ونتحدث مثلما كنا نتحدث من قبل... في الحياة.

البروفيسور روبيك: أوه،ليت في مقدورنا أن نتحدث كما كنا نفعل من قبل.

إيرينة: اجلس هناك حيث أنت. وسأجلس أنا بجوارك.

(يجلس مرة أخرى وتجلس هي على حجر آخر بجواره)

إيرينة:(بعد فترة صمت قصيرة) الآن قد عدت إليك يا أرنولد من أقصى الممالك.

البروفيسور روبيك: نعم،من المؤكد أنكِ عدت من رحلة طويلة لا نهاية لها.

إيرينة: عدت هنا إلى سيدي ومولاي الوحيد-

البروفيسور روبيك: عدتِ إلى بيتنا ... جئت إلى خاصتك وملجأك يا إرينة

إيرينة: هل كنت تنتظر عودتي يوما بعد يوم؟

البروفيسور روبيك: كيف يمكنني أن أجرؤ على انتظار عودتك؟

إيرينة: (تنظر إليه نظرة جانبية) لا، أعتقد أنك ما كنت لتجرؤ.لأنك لا تفهم شيء.

البروفيسور روبيك: ألم يكن اختفاؤك المفاجئ من أجل شخص آخر؟

إيرينة: ألا يمكن أن يكون ذلك من أجلك أنت يا أرنولد؟

البروفيسور روبيك : (ينظر إليها في شك) ولكني لا أفهمك....؟

إيرينة: عندما تفانيت في خدمتك بروحي وجســـدي.... وعندما انتهى التمثال.... طفلنا، كما كنت تســـميه، رميت تحت قدميك أثمن تضحية ... ألا وهي محو نفسي من الوجود إلى الأبد.

البروفيسور روبيك: (يحني رأسه) تاركة حياتي للضياع.

إيرينة: (تنتبه فجأة بغضب) هذا بالذات ما كنت أريده! لم أكن أريد أبدا أبدا أن تبدع شيئًا آخرا .... بعدما خلقت طفلنا الوحيد.

البروفيسور روبيك: هل كنتِ تضمرين في نفسك غيرة؟

إيرينة: (ببرود) أعتقد أنه كان شعورا بالكراهية.

البروفيسور روبيك : الكراهية؟ الكراهية لشخصي؟

إيرينة: (بغضب مرة أخرى) نعم لشخصك..... كراهية للفنان الذي تناول بلا حزن أو قلق، جسدا شابا ينبض بالحياة ونزع منه الروح ..... أنت كنت في حاجة لتلك الروح لتخلق عملا فنيا.

البروفيسور روبيك: وهل تستطيعين أن تقولي ذلك؟..... أنتِ التي شاركتيني عملي بشغف وبعاطفة مقدسة وبفرح لا ينطق به ومجيد؟ وكان هذا العمل يوحدنا نحن الاثنين كل صباح كأننا في قداس.

إيرينة: (ببرود كما كانت من قبل) سأخبرك بشيء واحد يا أرنولد.

البروفيسور روبيك: ماذا؟

إيرينة: أنا لم أحب فنك قط قبل أن أراك .... ولا حتى بعدما رأيتك.

البروفيسور روبيك: ولكن ماذا عن الفنان يا إيرينة ؟

إيرينة: أنا أكره الفنان.

البروفيسور روبيك: الفنان المجسد في شخصي؟

إيرينة: خاصة في شخصك. عندما كنت أتجرد من ملابسي وأقف أمامك كنت أكرهك يا أرنولد....

البروفيسور روبيك: (بحرارة) لا، لم تكرهيني يا إيرينة! هذا ليس صحيحا!

إيرينة: كنت أكرهك لأنك كنت تقف أمامي دون أن تتأثر....

البروفيسور روبيك: (يضحك) دون أن أتأثر؟ هل تظنين ذلك؟

إيرينة: .... كنت تتمالك نفسك بشكل مقدس وذلك لأنك كنت فنانا ، فنانا فحسب ... وليس رجلا!(تغير لهجتها لتكون أكثر دفئا) أما ذلك التمثال المنبثق من ذاك الصلصال المبلل الحي فقد أحببته .... ومن الرخام الخام خلقت طفلا ينبض بالروح.... لأننا خلقناه معًا، طفلنا. طفلي أنا وأنت.

البروفيسور روبيك:(بحزن) كان روح وحق.

إيرينة: أترى يا أرنولد؟.... إنني قمت برحلة الحج الطويلة تلك من أجل طفلنا.

البروفيسور روبيك: (ينتبه فجأة) من أجل تمثال الرخام...؟

إيرينة: سمه ما شئت أما أنا فأسميه طفلنا.

البروفيسور روبيك: (بقلق) والآن تريدين رؤيته؟ كاملا ؟ منحوتا من الرخام الذي كنت تريه دائما باردا .(بحماس) لعلك لا تعرفين إنه معروض الآن في متحف عظيم في مكان ما....هناك بالخارج في العالم .

إيرينة: لقد سمعت عنه أساطير.

البروفيسور روبيك: كنت تكرهين المتاحف دائما و تطلقين عليها سراديب المقابر....

إيرينة: سوف أحج إلى هذا المكان الذي دفنت فيه روحي وروح طفلي.

البروفيســـور روبيك: (بخوف وقلق) يجب ألا تري هذا التمثال أبدا! أتســـمعين إيرينة ! أتوســـل إليك....! أبدا ،أبدا لن تريه مرة أخرى!

إيرينة: هل تعتقد أنني سأموت بسببه مرة أخرى ؟

البروفيسور روبيك: (يعصر يديه) أوه،أنا نفسي لا أدري ماذا أعتقد .... ولكن أتخيل أنك تعلقتِ بهذا التمثال بهذه القوة. أنت يا من رحلتِ .....وتركتيني قبل أن يكتمل.

إيرينة: كان قد اكتمل بالفعل لذلك تركتك وحيدا....ورحلت.

البروفيسور روبيك: (يجلس واضعا مرفقيه على ركبتيه ويديه على عينيه ويهز رأسه يمنة ويسرة) ولكنه لم يكن قد اتخذ الشكل الذي أصبح عليه فيما بعد.

إيرينة: (بهدوء ولكن بسرعة البرق تخرج من صدرها سكينا حادا وتسأل هامسة في صوت أجش) يا أرنولد، ...هل أصبت طفلنا بأي أذي؟

البروفيسور روبيك: (في مواربة) أذي؟ ... لن أستطيع أن أقرر لأني لا أعرف ماذا ستعتبرينه.

إيرينة: (مقطوعة الأنفاس) أخبرني في الحال، ما الذي فعلته بالطفل؟

البروفيسور روبيك: سأخبرك إذا جلستِ واستمعتِ في هدوء لما سأقوله.

إيرينة: (تخفي سكينها) سأستمع لك بقدر ما تستطيع أي أُمْ عندما ....

بروفسور روبيك: (مقاطعا) ويجب ألا تنظري إلي وأنا أخبرك.

إيرينة: (تتحرك نحو حجر خلف ظهره) سأجلس هنا خلفك.... والآن خبرني.

البروفيسور روبيك: (يرفع يديه من فوق عينيه ويحملق أمامه) عندما عثرت عليكِ عرفت في الحال كيف يمكنني أن أستخدمك كي أصنع أعظم عمل في حياتي.

إيرينة: " يوم البعث" هذا هو الاسم الذي أطلقته على أعظم عمل في حياتك...بينما أطلقت عليه أنا "طفلنا".

البروفيسور روبيك: كنت حينذاك شابا لا خبرة لي بالحياة. ورأيت أن كلمة البعث يمكن تصف أروع وأجمل امرأة شابة لم يلمسها أحد.... دون خبرات الحياة الدنيوية.... وتبعث إلى النور والمجد وتمثل أمامي بلا عيب أو دنس
إيرينة:(بسرعة) نعم.... هكذا أبدو في عملنا .

البروفيسور روبيك: (بتردد) ليس تماما يا إرينة.

إيرينة: (في انفعال متزايد) ليس تماما ....؟ ألا أبدو بالهيئة التي كنت أقف بها أمامك؟

البروفيسور روبيك: (دون أن يجيب) لقد نضجت في السنوات التالية يا إرينة. وأصبح " يوم البعث" يتجسد في خيالي .... في أشكال مختلفة. فالقرص الدوار الصغير الذي كان ينتصب فوقه تمثالك بمفرده.... لم يكن يتسع لكل شيء أريد أن أجسده....

إيرينة: (تتحسس السكين ثم تتوقف) ماذا كنت تريد أن تجسد؟ قل لي!

البروفيسور روبيك: لقد جسدت كل ما رأيته حولي في هذا العالم . كان يجب أن أجسد ذلك أيضا.... لم يكن بوسعي أن أفعل سوى ذلك إيرينة. لقد وسعت من رقعة قاعدة التمثال...لتكن أكبر وتتسع لمزيد من الأشياء. وعليها صنعت جزء ا من الأرض المقوسة المتشققة وفي أعلى إحدى فجوات الأرض يوجد رجال ونساء تبدو على وجوههم ملامح حيوانات غامضة . نساء ورجال.... عرفتهم في حياتي .

إيرينة: (تتنهد في ترقب) ولكن في وسط هذا الحشد تقف امرأة شابة تتألق بالمجد والنور.... ألا أقف هكذا يا أرنولد؟

البروفيسـور روبيك: (في موارية) لا ليسـتِ في الوسـط تماما . كان لابد أن أزيح التمثال إلى الخلف قليلًا من أجل التأثير العام كما تفهمين وإلا سيطغى على المشهد كثيرا.

إيرينة: إلا أن المجد والنور لازالا يجللان وجهي.

البروفيسور روبيك: إنه كذلك يا إرينة ... إلى حد ما . ربما خَفُتا قليلًا حسبما تطلبت أفكاري المتغيرة.

إيرينة:(تنهض في هدوء) إن هذا التمثال يجسد الحياة كما تراها الآن يا أرنولد.

البروفيسور روبيك: نعم، بالفعل.

إيرينة: وفي هذا التصميم أزحتني إلى الخلف وجعلتني مبهمة المعَالم .... لأكون مجرد هيكل في الخلفية.... ضمن مجموعة.

(تجر السكين)

البروفيسور روبيك: لا، لا ليس مجرد هيكل في الخلفية . دعينا نسميه هيكل في الوسط .....أو شيئًا من هذا القبيل.

إيرينة: (تهمس في صوت أجش) الآن قد حكمت أنت على نفسك .

(ترفع يدها لتضربه بالسكين)

البروفيسور روبيك: (يلتفت وينظر إليها) حكمت؟

إيرينة:(تخفي الخنجر بسرعة وتقول بضيق وكأنها تتألم) روحي الخالصة كلها.... أنت وأنا.... نحن، نحن ، نحن ومعنا طفلنا نتمثل في توحد .

البروفيسور روبيك: (بحماس وهو يرفع قبعته ويجفف العرق المتجمع على جبهته) نعم، ولكن دعيني أخبرك أيضا كيف اتخذت لنفسي وضعا بين هذه المجموعة في المقدمة وبجانب النبع....مثلما أجلس الآن.... حيث يجلس رجلا يشعر بذنب ثقيل لا يستطيع الفكاك من أدران الأرض. وأسمي ذلك الحسرة على حياته الضائعة. إنه يجلس هناك ويغمس أصابعه في مياه النبع المترقرقة.... عساه يطهرها .... و فكرة أنه لن ينجح أبداء أبدا تعذبه وتستهلكه.وأنه لن ينل الخلود أبدا وسوف يظل حبيس جحيمه.

إيرينة: (بشدة وبرود) أنت شاعر!

البروفيسور روبيك: لماذا شاعر؟

إيرينة: ذلك لأنك مجرد من الأعصاب وتائه ومليء بالصفح والتغاضي عن كل ذنوب حياتك وكل أفكارك وأعمالك. إنك قتلت روحي..... ولذلك صورت نفسك نادما وأدنت نفسك وكفرت عن خطيئتك بهذه الطريقة....(تبتسم) ....و تعتقد بهذا أنك قد أبرأت ضميرك.

البروفيسور روبيك:(متحديا) أنا فنان يا إيرينة . و لا أشعر بالعار من نقاط ضعفي . لأني كما تعرفين ولدت كي أكون فنانا ولن أكون أي شيء غير فنان.

إيرينة: (تنظر إليه وعلى فمها ابتسامة خبيثة خفية وتقول في لطف ونعومة) أنت شاعر يا أرنولد.(تربت على شعره بلطف) أنت يا عزيزي طفلا كبيرا عجوزا .... فكيف لا ترى ذلك؟!

البروفيسور روبيك:(بضيق) لماذا تصرين على نعتي بأني شاعر؟

إيرينة :(بعينين ماكرتين) ذلك لأن في تلك الكلمة معنا تبريريا يا صـــديقي يحمل غفران الخطايا ....ويلقي غطاءا على كل نقاط الضعف. (تغير لهجتها فجأة) ولكني كنت إنسانة حينذاك وكان لي أيضا حياتي التي أحياها.... مصير إنسان أتممه . انظر، كل هذا تركته يتلاشى ...ضحيت به كله لكي أصبح تحت تصرفك ... أوه، لقد كان ذلك انتحار... خطيئة مميتة في حق نفسي.(في شبه همس) إنها خطيئة لن أستطيع أن أكفر عنها.

(تجلس بالقرب منه على حافة النبع وهي تراقبه مراقبة دقيقة دون أن يلاحظ ثم تقطف زهورا من الأشجار التي تحيط بهم)

إيرينة:(تكبح جماح نفســـها ظاهريا) كان عليَّ أن أنجب أطفالا إلى هذا العالم ، أطفالا كثيرين ...أطفالا حقيقيين... لا أطفال كهؤلاء الذين نخفيهم في أقبية القبور . كان يجب أن تكون تلك رسالتي في الحياة . ما كان يجب أن أخدمك أبدا أيها الشاعر .

البروفيسور روبيك: (شاردا) ومع ذلك كانت أياما جميلة يا إيرينة. أياما رائعة الجمال.... عندما أعود بذاكرتي إليها فا....

إيرينة:(تنظر إليه نظرة تحمل عطفا) هل تتذكر تلك الكلمة الصـــغيرة التي قلتها لي .....عندما انتهيت ... انتهيت مني ومن طفلنا.(تومئ إليه برأسها) هل تتذكر تلك الكلمة الصغيرة يا أرنولد؟

البروفيسور روبيك:(ينظر إليها متسائلا) هل قلت حينذاك كلمة صغيرة لازلت تذكرينها؟

إيرينة: نعم قلت، ألا تتذكرها؟

البروفيسور روبيك: (يهز رأسه) لا، لا أتذكرها .ليس في الوقت الحاضر على الأقل.

إيرينة: لقد أخذت يدي بين يديك وضغطت عليهما بحرارة ووقفت أنا وقد تقطعت أنفاسي وأنا أنتظر ثم قلت حينذاك: والآن إني لأشكرك يا إيرينة من كل قلبي وقلت أيضا : لقد كان حدثا مباركا بالنسبة لي."

البروفيسور روبيك:(ينظر إليها في شك) حدث ؟إنني لا أستخدم هذه الكلمة.

إيرينة : بل قلت "حدثا".

البروفيسور روبيك: (متظاهرا بالفرح) لا بأس... لقد كان ذلك حدثا بالفعل.

إيرينة: (باختصار) بسبب تلك الكلمة تركتك ورحلت.

البروفيسور روبيك: أنت تتأثرين تأثرا بالغا بكل شيء يا إيرينة .

إيرينة: (تمســـح جبهتها بيدها) ربما كنت على حق. دعنا نقتلع كل الأمور العميقة الثقيلة من داخلنا.(تنزع أوراق زهرة جبلية وتلقي بها في النبع)انظر يا أرنولد هاهي طيورنا تسبح.

البروفيسور روبيك: أية طيور تلك؟

إيرينة: ألا تراهم؟ إنها بالطبع طيور الباشروش لونها أحمر كالورد.

البروفيسور روبيك: ولكن طيور الباشروش لا تسبح بل تغوص.

إيرينة: إِذَنْ فهي ليست طيور الباشروش إنما طيور النورس.

البروفيسور روبيك: نعم من الممكن أن تكون طيور النورس بمناقير حمراء.(يقطف أوراق خضراء عريضة ويرميها في النبع) والآن ها أنذا أرسل سفني خلفهم.

إيرينة: ولكن يجب ألا يكون هناك صيادون على متن السفن.

البروفيسور روبيك: لا لن يكون هناك صيادون.(يبتسم لها) هل تذكرين ذلك الصيف عندما كنا نجلس خارج الكوخ الريفي المطل على بحيرة تونيتز ؟

إيرينة : (تومئ) في أمسيات كل يوم سبت،نعم ... عندما كنا ننتهي من أعمال الأسبوع...

البروفيسور روبيك:... وكنا نستقل القطار .... كي نبقى هناك حتى نهاية الأحد....

إيرينة: (تبدو في عينيها نظرة تحمل شرا وكراهية) كان ذلك حدثا يا أرنولد.

البروفيسور روبيك: (وكأنه لم يسمع) كنتِ حينذاك تطلقين طيورا تسبح في النبع ...إلا أن زنابق الماء هي التي كانت ....

إيرينة: كانت بجعا أبيضا.

البروفيسور روبيك : نعم، قصدت بجعا أبيضا. وأذكر أنني ثبت ورقة كبيرة مكسوة بالفراء في إحدى البجعات. يبدو أنها ورقة.... نبات الأرقطيون ....

إيرينة: وعند ذلك تتحول إلى قارب الفارس لوهنجرين....تسحبه البجعة.

البروفيسور روبيك: كم كنتِ مغرمة بهذه اللعبة يا إيرينة!

إيرينة : كنا نلعبها مرارا وتكرارا .

البروفيسور روبيك: كل يوم سبت على ما أعتقد ، على مدار الصيف .

إيرينة: وقلت لي أنني كنت البجعة التي تسحب قاربك.

البروفيسـور روبيك: هل قلت هذا؟ ربما.أعتقد أنني قلت.(منشـغل باللعبة) انظري فقط إلى طيور النورس وهي تسـبح في مجرى النبع !

إيرينة: (تضحك) أما سفنك فقد ضلت السبيل.

البروفيســور روبيك: (يرمي مزيد من الأوراق في النبع) لدي ســفن احتياطية كثيرة بحالة جيدة.(يتتبع الأوراق بعينيه وهو يلقي غيرها في مجرى النبع ثم يقول بعد فترة صمت) يا إيرينة لقد اشتريت الكوخ الريفي الصغير المطل على بحيرة تونيتز.

إيرينة : هل اشتريته؟ كنت تردد كثيرا أنك سوف تشتريه عندما يتوفر لديك المال.

البروفيسور روبيك: فيما بعد توفر لدي المال واشتريته.

إيرينة: (تنظر إليه نظرة جانبية) هل مازلت تعيش هناك... في بيتنا القديم؟

البروفيســور روبيك : لا .لقد هدمته منذ زمن وبنيت مكانه فيلا كبيرة أنيقة مريحة ....تحيط بها حديقة. وهناك اعتدنا ....(يتوقف ويصحح العبارة) هناك اعتدت أن أقضي الصيف ....

إيرينة: (تتمالك نفسها) أنت و....الأخرى. هل تعيش مع الأخرى هناك الآن؟

البروفيسور روبيك: (في شبه تحدي) نعم، عندما لا نكون أنا وزوجتي في رحلة.... مثل هذا العام.

إيرينة: (ساهمة) كانت الحياة عند بحيرة تونيتز رائعة ورائعة جدًّا .

البروفيسور روبيك : (وكأنما يسترجع شيئًا في نفسه) ومع ذلك يا إيرينة....

إيرينة: (تكمل فكرته) ...ومع ذلك تركنا نحن الاثنين كل تلك الحياة بكل روعتها.

البروفيسور روبيك: (بهدوء مقاطعا) وهل فات وقت الندم الآن؟

إيرينة :(لا تجيب وتجلس صـامتة لحظة ثم تشـير إلى القمم) انظر هناك يا أرنولد هاهي الشـمس تغرب وراء القمم. أنظر ...أية حمرة متوهجة تعكسها أشعتها المنبسطة على الأفق و على قمم شجيرات الخلنج هناك.

البروفيسور روبيك: (ينظر حيث تشير) لقد مضى وقت طويل منذ أن رأيت غروب الشمس فوق الجبال.

إيرينة: ولم ترى شروقها؟

البروفيسور روبيك: لم أر شروقها أبدا.

إيرينة: (تبتسم وهي شاردة شرودا عميقا وهي تسترجع الذكريات) ذات مرة رأيت شروق شمس رائع.

البروفيسور روبيك: هل فعلتِ؟ أين ؟

إيرينة: هناك عاليًا، عاليًا فوق قمة جبل شـــاهق جدًّا..... حيث خدعتني وأخذتني إلى هناك ووعدتني أن أرى كل أمجاد العالم لو أنني فقط....

(تسكت فجأة)

البروفيسور روبيك: لو أنك فقط...؟ ماذا؟

إيرينة: لو إنني فعلت ما طلبته مني وصـــعدت معك إلى أعالي الجبال حيث ركعت لك.... وعبدتك وخدمتك. (تصـــمت قليلًا ثم تقول في صوت أخفت) عندئذ كنت سأرى شروق الشمس.

البروفيسور روبيك: (يغير مجرى الحديث) أما ترغبين في العيش معنا في الفيلا هناك؟

إيرينة: (تنظر إليه في احتقار) أعيش معك .... ومع المرأة الأخرى تلك.

البروفيسـور روبيك :(يقاطعها) معي.... حيث عشـنا... أيام كنا نخلق الأشـياء. وكنتِ تفتحين كل ما أغلق في أعماقي. ألا ترغبين في ذلك يا أرينة؟

إيرينة: (تهز رأسها) لم يعد لدي المفتاح يا أرنولد.

البروفيســور روبيك : لديك المفتاح! أنتِ وحدك ولا أحد غيرك!(يرجوها ويتوســل إليها) ســاعديني... لكي اســتطيع أن أحيا من جديد!

إيرينة: (بلا حراك كما كانت قبلا)أحلام خاوية !أحلام جرداء ....ميتة. لأن حياتنا معًا لم يكن بها بعث.

البروفيسور روبيك:(باختصار ويقاطعها) إِذَنْ دعينا نستمر في اللعب فقط!

إيرينة: نعم. نلعب، ونلعب ... نلعب فقط.

(يأخذان في قذف أوراق الشجر وأوراق الورد في مجرى النبع حيث تعوم مع تيار الماء)

(ومن الخلف ناحية اليسار يصعد أولفهايم والسيدة مايا في ثياب الصيد يتبعهما الخادم الذي يمسك بمقود الكلاب فيذهب بها جهة اليمين حيث يختفي)

البروفيسور روبيك : (يراهما) انظري! تلك هي مايا الصغيرة تسير مع صياد الدببة.

إيرينة: امرأتك، نعم.

البروفيسور روبيك: أو امرأة غيري.

السـيدة مايا : (تتلفت حولها أثناء عبورها المرتفع فترى الاثنين جالسـين بجوار النبع فتهتف) أسـعدت مسـاء يا بروفيسـور ! احلم بي. فأنا الآن متجهة نحو مغامرة .

البروفيسور روبيك: (يصيح ردا عليها) أي نوع من المغامرات؟!

السيدة مايا : (تقترب)أريد أن أضع الحياة قبل كل شيء.

البروفيسور روبيك: (بسخرية) حقًّا ؟ هل تريدين ذلك أيتها الصغيرة مايا؟

مايا: نعم. ولقد نظمت شعرا عن هذا الموضوع.

(تغني في فرح)

إنني حرة! إنني حرة ! إنني حرة!
حياتي في السجن انتهت !
أنا حرة كالطير
أنا حرة!
نعم، أظن أنني استيقظت الآن ... أخيرًا.

البروفيسور روبيك: يبدو هذا.

السيدة مايا : (تتنفس بعمق) أوه....ياله من شعور إلهي ينتابني عندما استيقظ!

البروفيسور روبيك: أسعدت مساء يا سيدة مايا وحظ سعيد.

أولفهايم: (يصيح بصوت آمر) هش،هش...اللعنة! كف عن تمنيات المشعوذين تلك. ألا ترى أننا ذاهبون للصيد؟

البروفيسور روبيك: ما الذي ستأتين به من الصيد يا مايا ؟

السيدة مايا : سأحضر لك طيرا جارحا يمكنك أن تتخذه موديلا . سأضربه في جناحه من أجلك.

البروفيسور روبيك: (يضحك في سخرية ومرارة) نعم، تصطادينه من جناحه.... بجهل منك ....هكذا كنت دائما منذ زمن بعيد.

السيدة مايا : (تلقي برأسها إلى الوراء) أوه، عليك فقط أن تدعني أهتم بشؤوني من الآن فصاعدا كي...!(تحني رأسها ثم تضحك في خبث) مع السلامة وأتمنى لك ليلة صيفية هادئة فوق القمم!

البروفيسور روبيك: (مازحا) شكرا لك ! مع تمنياتي بكل الحظ السيئ لكما ولصيدكما!

أولفهايم: (يزأر بالضحك) تلك أمنية هي الأمنية التي يجب أن تتمناها!

السيدة مايا : (تضحك) شكرا، شكرا ،شكرا يا بروفيسور.

(يعبرا الجزء المرئي على المرتفع إلى الشجيرات جهة اليمين)

البروفيسور روبيك: (بعد صمت قصير) ليلة صيفية فوق القمم! نعم، هذا يعني الحياة!

إيرينة: (فجأة وفي عينيها تعبير وحشي) هل تود أن تقضي ليلة صيفية فوق القمم... معي ؟

البروفيسور روبيك: (يمد ذراعيه) نعم،نعم،... تعالي !

إيرينة: مولاي وسيدي ومعبودي.

البروفيسور روبيك: أوه، يا إيرينة!

إيرينة: (بصوت أجش وهي تبتسم وتتحسس صدرها) ولكن هذا سيكون مجرد حدث.... (تهمس بسرعة) هش.... لا تنظر حولك يا أرنولد!

البروفيسور روبيك: (في همس أيضا) ماذا يجري؟

إيرينة: هناك وجه يحملق نحوي.

البروفيسور روبيك:(يلتفت بشكل لا إرادي) أين؟ (في خوف) آه...!

(يظهر جزء من وجه الراهبة بين الشجيرات بجوار المنحدر جهة اليسار. وهي تثبت أنظارها على إيرينة ولا تحولها عنها)

إيرينة: (تنهض وتقول بصـوت أخف) إِذَنْ علينا أن نفترق. لا، عليك أن تظل جالسـا. أتسـمعني ؟! يجب ألا تتبعني. (تنحني عليه وتهمس له) إلى أن نلتقي ثانية الليلة فوق القمم.

البروفيسور روبيك: وهل ستأتين يا إيرينة؟

إيرينة: نعم .من المؤكد أني سآتي. انتظرني هنا.

البروفيسـور روبيك: (يعيد كلامها كالحالم) ليلة صـيفية فوق القمم. معكِ. معكِ. (تلتقي عيناه بعينيها) أوه، يا إيرينة ربما تلك هي الحياة... التي أضعناها .... نحن الاثنين.

إيرينة: ما ضاع لن يعود إلا عندما...

(تتوقف عن الكلام)

البروفيسور روبيك: (ينظر إليها متسائلا) عندما...؟

إيرينة: عندما نبعث نحن الموتى.

البروفيسور روبيك: (يهز رأسه بحزن) وما الذي سنراه حينها؟

إيرينة: سنرى أننا لم نعش أبدا .

(تذهب نحو المنحدر وتبدأ في النزول فتفسح الراهبة طريقا لها ثم تتبعها، بينما يظل البروفيسور روبيك جالسا دون حراك إلى جانب النبع)

السيدة مايا : (يسمع صوت غنائها المرح بين الجبال)

إنني حرة! إنني حرة ! إنني حرة!
حياتي في السجن انتهت !
أنا حرة كالطير
أنا حرة!
نعم، أظن أنني استيقظت الآن ... أخيرًا.

ستار

الفصل الثالث

(جانب من جوانب جبل شاهق حاد، في الخلف. إلى اليمين قمم مغطاة بالثلوج يخفيها الضباب. إلى اليسار صخور منهارة عليها كوخ قديم كاد أن يتهاوى.)

(الصباح الباكر وبدأ الضوء يبزغ ولكن الشمس لم تشرق بعد.)

(تنزل السيدة مايا الصخرة اليسرى ووجهها تكسوه الحمرة والضيق ويتبعها أولفهايم بين الغضب والضحك ويقبض على ذراعها بشدة.)

السيدة مايا : (تحاول أن تتخلص منه) دعني! قلت لك دعني!

أولفهايم: لا بأس ،لابأس! ما عاد ينقص سوى أن تعضيني! أنتِ أشرس من الدب.

السيدة مايا : (تضربه على يده) قلت لك دعني! وكن هادئا....

أولفهايم: لا، لن أدعك.

السيدة مايا : لن أسير معك خطوة أخرى ، أتسمع؟ ...ولا خطوة واحدة....!

أولفهايم: ها،ها! وكيف يمكنك الفرار مني هنا في هذا الجبل الموحش؟

السيدة مايا : سأقفز على منحدر الجبل هناك إذا لزم الأمر....

أولفهايم: وتهشمي جسدك وتصبحين طعاما للكلاب!طعاما لذيذا يتصبب دما...! (يتركها) هيا تفضلي ، اقفزي إلى منحدر الجبل هناك إن أردت ، إنه شديد الانحدار. وليس هناك سوى طريق ضيق يصعب المرور منه.

السيدة مايا : (تنفض التراب عن تنورتها ، وتنظر إليه نظرة غاضبة) يالك من رفيق صيد لطيف!

أولفهايم: بل قولي: شخصا تمارسين معه رياضة.

السيدة مايا : أوه! أتسمي ذلك رياضة ؟

أولفهايم: نعم، إنني أعطي لنفسي الحق في قول ذلك..... فإنها أحب رياضة إلى نفسي.

السيدة مايا : (ترمي برأسها إلى الوراء) فعلا.....!(بعد فترة صمت تنظر إليه متفحصة) لماذا تركت الكلاب طليقة هناك في الأعلى؟

أولفهايم: (يغمز بعينيه ويبتسم) حتى تصطاد هي الأخرى كما تشاء، كما تفهمين بالطبع.

السيدة مايا : هذا ليس صحيحا! فلم يكن إطلاقك للكلاب من أجل الكلاب ذاتها.

أولفهايم: (لا يزال مبتسما) إِذَنْ لماذا أطلقتها؟ خبريني...

السـيدة مايا : أطلقتها لأنك تريد التخلص من لارش، حتى يظل يطاردهم ويعيدهم ثانية. هذا ما قلته . وفي الوقت نفسـه... أوه، كم هو تصرف محترم منك!

أولفهايم: ...في الوقت نفسه ماذا؟

السيدة مايا : (تقاطعه بجفاء) لا يهم!

أولفهايم: (بثقة) لن يجد لارش الكلاب،ثقي في ذلك ولن يعود إلا في الوقت المناسب.

السيدة مايا : (تنظر إليه بغضب) فعلا، لن يعود.

أولفهايم: (يقبض على ذراعيها) لأن لارش ...يعرف جيدا...أساليبي الرياضية،كما تفهمين.

السيدة مايا : (تفلت منه وتنظر إليه مِنْ قِمَّة رأسه إلى أخمَص قدميه) أتعرف من تشبه يا أولفهايم؟

أولفهايم:أظن أنني أشبه نفسي.

السيدة مايا : عندك حق. لأنك تشبه الإله فون.

أولفهايم: فون...؟

السيدة مايا : نعم، فون بالضبط.

أولفهايم: فون ! أهو نوع من الوحوش أم أنه نوع من شياطين الغابات؟

السيدة مايا : نعم . يشبهك بالضبط، مخلوق له لحية عنزة وساقا جدي، آه، ولفون أيضا قرنين!

أولفهايم: هكذا ! وهل له قرنين أيضا!؟

السيدة مايا : نعم، قرنان بشعان كقرنيك.

أولفهايم: وهل استطعت رؤية قرني الضعيفين ؟

السيدة مايا : نعم، بالفعل يمكنني رؤيتهما بوضوح تام.

أولفهايم: (يخرج مقود الكلاب من جيبه) إِذَنْ من الأفضل أن أقيدك.

السيدة مايا : هل جننت ؟ تقيدني....؟

أولفهايم: إذا كنت شيطانا فلأكن شيطانا! وهذه هي الطريقة ! أتستطيعين حقًّا رؤية قرني؟

السيدة مايا : (تهدئه) مهلا، مهلا ، مهلا !تصرف بلياقة يا أولفهايم. (تغير الموضوع) ولكن أين قلعة الصيد التي كنت تتكلم عنها كثيرا بفخر؟ من المفترض أنها قريبة من هنا.هكذا قلت.

أولفهايم: (يشير إلى الكوخ المتهاوي) هاهي أمام عينيك.

السيدة مايا (تنظر إليه) أتقصد حظيرة الخنازير القديمة تلك؟!

أولفهايم: (يضحك لنفسه) بالمناسبة لقد عاش فيها كثير من بنات الملوك.

السيدة مايا : هل جاء الرجل المخيف هنا إلى ابنة الملك في هيئة دب كما أخبرتني؟

أولفهايم: نعم، يا رفيقة الصيد. هذا هو المكان.(يشير إليها كي تدخل) إذا تكرمت بالدخول فا....

السيدة مايا : أوف! لن أضع قدمي فيه ...!أوف!

أولفهايم: أوه، يمكن لاثنين أن يقضيا ليلة صيفية جميلة بالداخل أو صيفا بطوله إذا لزم الأمر!

السيدة مايا : شكرا! ولكن لابد أن يكون المرء لديه رغبة لأن يفعل شيئًا كهذا . (بضيق) والآن قد ضقت بك وبرحلة الصيد، أريد أن أنزل حالا إلى الفندق ... قبل أن يستيقظ نزلاؤه.

أولفهايم: وهل فكرت في طريقة الهبوط من هنا؟

السيدة مايا : أظن أن هذا عملك أنت. ولابد أن يكون هناك طريق ما للهبوط على ما أظن.

أولفهايم: (يشير إلى منحدر الجبل) بالتأكيد! هناك طريق للهبوط....هناك عند منحدر الجبل.

السيدة مايا : أترى الآن؟....بقليل من الإرادة فا....

أولفهايم:.... ولكن حاولي ،إن جرؤت، النزول من هذا الطريق.

السيدة مايا : (في شك) أتظنني لا أستطيع؟

أولفهايم: أبدا لن تستطيعي. إن لم أساعدك فا...

السيدة مايا : (بقلق) تعال إِذَنْ وساعدني. وفيم أستخدمك لغير ذلك؟

أولفهايم: أتحبين أن أحملك على ظهري....؟

السيدة مايا : ياله من هراء!

أولفهايم: ... أو أن أحملكِ بين ذراعي؟

السيدة مايا : كف عن هذا الهراء!

أولفهايم: (في غيظ مكتوم) لقد عثرت على عاهرة... فرفعتها من الأوحال بين ذراعي، وحملتها بيدي الاثنتين، كنت سأحملها هكذا طوال العمر:.... حتى لا تضع قدماها على أحد الأحجار إذ كان حذاؤها عندما وجدتها باليا..

السيدة مايا : ومع ذلك رفعتها بذراعيك من الأرض وحملتها على ذراعيك.

أولفهايم: التقطها من الأوحال وصعدت بها أعالي قمم الجبال بقدر ما أستطيع .(في ضحكة كالزئير) أتعرفين ماذا كان جزائي؟

السيدة مايا : لا، ماذا كان جزاؤك ؟

أولفهايم : (ينظر إليها مبتسـما وهو يحني رأسـه) حصـلت على القرون! القرون التي يمكنك رؤيتها الآن بوضـوح .... أليسـت هذه قصة غريبة يا سيدتي يا قاتلة الدببة؟

السيدة مايا : أوه، نعم.إنها غريبة جدًّا.لكنني أعرف قصة أغرب.

أولفهايم: وما هي؟

السـيدة مايا : سـأقصـها عليك، كان هناك فتاة غبية ولديها أب وأم.... ولكنهم كانوا يعيشـون في فقر ثم ظهر رجل ميسـور الحال وسط كل هذا الفقر وأخذ الفتاة بين ذراعيه... كما فعلت....ثم رحل معها بعيدًا ، بعيدًا جدًّا....

أولفهايم: أكانت تريد أن تبقى معه حيث كان؟

السيدة مايا: لأنها غبية كما ترى.

أولفهايم: وهو ، لا شك أنه كان وسيما جدًّا؟

السيدة مايا : أوه، لا. ولا حتى كان وسيما. ولكنه ادعى أنه سيأخذها إلى أعلى جبل ، حيث لا يغيب النور ولا الشمس.

أولفهايم: كان متسلقا للجبال إِذَنْ، أليس كذلك؟

السيدة مايا : نعم، كان كذلك... بطريقة ما.

أولفهايم: وعندئذ أخذ الفتاة معه إلى الأعالي.....؟

السـيدة مايا : (تحني رأسـها إلى الوراء) نعم ...صـعد بها برفق ، مؤكدا! أوه، لا ! لقد غرر بها وأدخلها قفصـا باردا ورطبا ليس به لا شمسا ولا هواء. هكذا كانت ترى....مجرد أشياء مذهبة وكبيرة وتماثيل ضخمة كالأشباح على الحوائط.

أولفهايم: اللعنة! لقد نالت ما تستحقه تماما.

السيدة مايا : نعم، ولكن ألا تظن مع ذلك أنها قصة غريبة؟

أولفهايم: (ينظر إليها برهة) اسمعيني الآن يا رفيقة الصيد الطيبة.

السيدة مايا :ماذا؟ ماذا إِذَنْ؟

أولفهايم: ألا يمكننا أن نرتق خرقنا البالية معًا؟

السيدة مايا :أتريد أن تصبح رفا- ملابس؟

أولفهايم: نعم، مؤكدا. ألا يمكن أن نرتق الخرق البالية نحن الاثنين وأن نضـم الخرق بعضـها إلى البعض....ونحاول أن نصـنع منها حياة إنسانية؟

السيدة مايا : وإذا تمزقت هذه الخرق البالية ... فماذا سنفعل؟

أولفهايم: (يشيح بيديه) حينها سنقف هناك في حرية وجرأة.....هكذا كما نحن!

السيدة مايا : (تضحك) نعم، ستقف بساقيك هاتين اللتين تشبهان ساقي عنزة!

أولفهايم: وأنتِ بساقيك...هيا بنا.

السيدة مايا : نعم، هيا. فلنذهب.

أولفهايم: قفي! إلى أين يا رفيقتي؟

السيدة مايا : إلى الفندق بالطبع.

أولفهايم: وبعد ذلك؟

السيدة مايا : سنودع بعضنا باحترام وأشكرك على الرفقة الممتعة.

أولفهايم: أيمكننا أن نفترق نحن الاثنين؟ أتظنين أننا نستطيع؟

السيدة مايا : نعم، فأنت لم تنجح في أن تقيدني.

أولفهايم: لدي قصر أقدمه إليك...

السيدة مايا : (تشير إلى الكوخ) أهو مثل تلك؟

أولفهايم: إنه لم يتهدم بعد.

السيدة مايا : وهل ستريني أيضا كل أمجاد العالم ؟

أولفهايم: قلت لك قصر ...

السيدة مايا : شكرا! لقد جربت ما يكفي من القصور.

أولفهايم: ... وتحيط بها أرض ممتدة للصيد.

السيدة مايا : هل في ذلك القصر أعمال فنية أيضا ؟

أولفهايم: (ببطء) لا... ليس فيها أعمال فنية ولكن....

السيدة مايا : (بارتياح) هذا أمر طيب للغاية.

أولفهايم: هل تحبين أن ترافقيني إِذَنْ...إلى أبعد وأطول مما أرغب؟

السيدة مايا : هناك طائر جارح مروض يحرسني.

أولفهايم: (بوحشية) سنصيب جناحه برصاصة يا مايا !

السيدة مايا : (تنظر إليه لحظة ثم تقول في حزم) تعال إِذَنْ واحملني إلى أسفل منحدر الجبل.

أولفهايم: (يلف وسطها بذراعيه) آن أوان ذلك! فالضباب فوقنا...!

السيدة مايا : هل طريق الهبوط خطر جدا؟

أولفهايم: ضباب الجبل أكثر خطورة.

(تفلت منه وتذهب إلى الحافة وتنظر إلى أسفل ثم تتراجع بسرعة.)

أولفهايم: (يذهب إليها ضاحكا) ماذا؟ هل أصابك الدوار قليلًا؟

السيدة مايا : (بضعف) نعم، هذا أيضا، ولكن اذهب وانظر هناك وستجد هذين الاثنين صاعدين إلينا...

أولفهايم: (يذهب إليها وينظر من المنحني) إنه طيرك الجارح وامرأته الغريبة.

السيدة مايا : ألا يمكن أن نمر بهما ....دون أن يريانا؟

أولفهايم: محال! فالممر ضيق جدًّا، وليس هناك طريق غيره.

السيدة مايا :(تتشجع) لا بأس، لا بأس... لنواجههما إِذَنْ!

أولفهايم: إنك تتكلمين كما لو كنتِ قاتلة دببة حقيقية أيتها الرفيقة!

(يظهر البروفيسـور روبيك وإيرينة عند المنحدر إلي الخلف ، وقد وضـع روبيك بطانيته على كتفيه بينما ألقت إيرينة معطفا من الفرو دون عناية على ملابسها البيضاء و فوق رأسها قبعة من ريش النعام.)

البروفيسور روبيك: (يظهر بالكاد من حافة منحدر الجبل)ما هذا مايا؟ ها نحن الاثنين نلتقي مرة أخرى؟

السيدة مايا : (تتظاهر بالثقة) في خدمتك،هيا اقترب ؟

(يصعد البروفيسور روبيك ويمد يده إلى إيرينة فتصعد هي الأخرى.)

البروفيسور روبيك: (لمايا ببرود) لقد إِذَنْ قضيت الليل فوق الجبل.... مثلنا؟

السيدة مايا : نعم..كنت أصطاد، فقد أعطيتني إذن بالخروج.

أولفهايم: (يشير إلى أسفل المنحدر) هل صعدت من هذا الطريق؟

البروفيسور روبيك: كما رأيت.

أولفهايم: والسيدة الغريبة أيضا؟

البروفيسور روبيك: نعم، بالطبع. (يرمق السيدة مايا) أنا والسيدة الغريبة لن تفرق بيننا السبل بعد اليوم .

أولفهايم: ألا تعرف إِذَنْ أن الطريق الذي أتيت منه طريق محفوف بالموت....؟

البروفيسور روبيك: لقد جربناه نحن الاثنين ولم يبدو أنه خطر في البداية رغم ذلك.

أولفهايم: نعم، إنه ليس خطرا في البداية، ولكنك قد تصل إلى منحني لا تستطيع عنده التقدم أو الرجوع. وإذ ذاك ستصير عالقا أيها البروفيسور! نحن الصيادين نسمى ذلك الشخص حبيس الجبل.

البروفسور روبيك: (يبتسم وينظر إليه) هل تعطينا الآن تنبؤات أوحي إليك بها يا سيد أولفهايم؟

أولفهايم: حاشا لله أن أمثل دور الموحي إليه.(يواصل وهو يشير إلى أعلى) ولكن، ألا تسمع صرير الريح؟

البروفيسور روبيك: (ينصت) إن صوتها مثل مقدمة يوم البعث.

أولفهايم: إنه صرير الريح فوق القمم يا رجل! ألا ترى كيف تتحرك الســـحب -وتنحدر إلى أســـفل وسرعان ما ســـتحيط بنا مثل الأكفان؟!

إيرينة: (ترتجف) أعرف هذه الأكفان!

السيدة مايا : (تشد يده) دعنا ننزل .

أولفهايم: (للبروفيسور روبيك) لن أستطيع مساعدة أكثر من واحد، فلتبقيا بالكوخ حتى تمر العاصفة، سأرسل إليكما من يعودون بكما.

إيرينة: (برعب) يعودون بنا! لا! لا...!

أولفهايم: (بصوت أجش) يأخذوكما بالقوة إذا لزم الأمر ...فالمسألة هنا مسألة حياة أو موت. وقد عرفتما الآن. (للسيدة مايا) هيا بنا....لا تخافي ، وضعي ثقتك في رفيقك وسلميه زمام أمرك.

السيدة مايا : (تتشبث به) أوه،كم سأفرح وأغني إذا نزلت وجسدي سليم!

أولفهايم: (يبدأ في النزول وهو ينادي الآخرين) ستبقون في الكوخ إِذَنْ حتى يأتي الرجال بحبالهم ليعودوا بكما.

(أولفهايم يحمل السيدة مايا وينزلان على المنحدر في سرعة وحذر)

إيرينة: (تنظر إلى البروفيسـور روبيك وقد بدا الفزع في عينيها) أتسـمع ذلك يا أرنولد؟.... سـيأتي رجال ليعودوا بي ! رجال كثيرون سيأتون هنا في الأعلى....!

البروفيسور روبيك:لا تفزعي إيرينة...!

إيرينة: (في فزع متزايد) وهي، المرأة ذات الرداء الأسـود...سـتأتي أيضـا. لابد أنها بحثت عني طويلا، وسـتمسـك بي يا أرنولد! وستضطرني إلى لبس قميص المجانين . أوه، إنه معها في حقيبتها ، وقد رأيته بعيني هاتين....

البروفيسور روبيك: لن أسمح لأحد أن يلمسك.

إيرينة: (بضحكة حائرة) أوه، فا ...فأنا نفسي لدي ما يجعلني أقاوم.

البروفيسور روبيك: وما هو؟

إيرينة: (تسحب السكين) هذا!

البروفيسور روبيك: (يحاول أن يمسك بها) هل معك سكين...؟!

إيرينة: دائما، دائما.ليلا ونهارا. وفي الفراش أيضا.

البروفيسور روبيك: أعطيني هذا السكين يا إيرينة!

إيرينة: (تخفيها) لن تأخذها، لأني سأستخدمها في شيء ما.

البروفيسور روبيك: وفيما ستستخدمينها؟

إيرينة: (تنظر إليه بحدة) كنت سأستخدمها معك يا أرنولد.

البروفيسور روبيك: معي!

إيرينة: عندما كنا جالسين على شاطئ بحيرة تونيتز ليلة أمس....

البروفيسور روبيك: على شاطئ بحيرة تونيتز...

إيرينة: ...خارج الكوخ الريفي ... وكنا نلعب بالبجع وأزهار الزنبق المائية.

البروفيسور روبيك: ثم ماذا...ثم ماذا ؟

إيرينة: ... وعندما سمعتك تقول ببرود قاتل....أنني كنت مجرد حدث في حياتك.

البروفيسور روبيك: إنه أنتِ لا أنا من قال ذلك يا إيرينة.

إيرينة: (تواصل) حينها أخرجت السكين وكنت أريد أن أغمدها في ظهرك.

البروفيسور روبيك: (بحزن) ولماذا لم تفعلي؟

إيرينة: لأنني عرفت أنك بالفعل ميت... منذ زمن.

البروفيسور روبيك: ميت؟

إيرينة: ميت. ميت مثلي، كنا نجلس على شاطئ بحيرة تونيتز، مثل جثتين باردتين من الطين ...وكنا نلعب سويا.

البروفيسور روبيك: أنا لا أسمي ذلك موتا . أنتِ لا تفهميني.

إيرينة: أين إِذَنْ تلك الرغبة المشبوبة التي كنت تقاومها وتجاهدها عندما كنت أقف أمامك حرة مثل امرأة بُعثت من الموت

البروفيسور روبيك: لا شك أن حبنا لم يمت يا إيرينة.

إيرينة: إنه حب متصل بالحياة الأرضية ... الحياة الأرضية الجميلة العجيبة ... الحياة الأرضية الغامضة ... هذا الحب قد مات في قلبينا نحن الاثنين.

البروفيسور روبيك: (بعشق) أتعرفين أن هذا الحب بالذات.... مازال يحترق ويغلي في أحشائي أكثر من أي وقت مضى؟!

إيرينة: وأنا ؟ أنسيت من أكون الآن؟

البروفيسور روبيك: لا يهمني من تكونين ولا ماذا تريدين! فلست عندي إلا تلك المرأة التي كنت أحلم برؤيتها فيكِ.

إيرينة: لقد وقفت على القرص الدوار ... عارية ... ووقفت هكذا أمام مئات الرجال... بعدك.

البروفيسـور روبيك: إنه أنا من وضـعك على القرص الدوار ... لأنني إذ ذاك كنت أعمى . أنا الذي وضـعت تمثال الطين الميت فوق الحياة.... فوق سعادة الحب.

إيرينة: (ترخي نظرها) فات الأوان .... فات الأوان!

البروفيسور روبيك: كل ما حدث في هذه الفترة لم ينزلك من نظري أبدا قيد أنملة.

إيرينة: (ترفع رأسها) ولا من نظري أيضا!

البروفيسور روبيك: حسنا، ماذا إِذَنْ؟ نحن أصبحنا أحرارا ،ومازال لدينا وقت لنعيش حياتنا يا إيرينة.

إيرينة: (تنظر إليه بحزن) لقد مات بداخلي حب الحياة يا أرنولد... فها قد بعثت وبحثت عنك حتى وجدتك. ...وإذ ذاك رأيت أنك والحياة كليكما ميتان ... كما مت أنا.

البروفيسور روبيك: أوه، كم أنتِ شاردة ! فها هي الحياة فينا ومن حولنا ...تنبض و تختلج كما كانت من قبل!

إيرينة:(تبتسم وتهز رأسها) امرأتك الشابة التي بعثت ترى الحياة كلها ترقد في نعشها.

البروفيسور روبيك: (يطوقها بذراعيه بقوة) إِذَنْ دعينا نحن الموتى ... نحيا حياتنا ولو لمرة .... قبل أن ننزل إلى قبورنا مرة أخرى!

إيرينة: (تصرخ) أرنولد!

البروفيسور روبيك: ولكن ليس هنا في هذا الجو المظلم! ليس هنا حيث يحيط بنا هذا الكفن المبتل القبيح ....

إيرينة: (وقد أخذها العشق) نعم، نعم .....إلى أعلى حيث النور، وحيث المجد الزاهي والبهاء كله إلى أعلى قمة في أرض الموعد!

البروفيسور روبيك: وهناك سوف نحتفل بزفافنا يا إيرينة ... يا حبيبتي !

إيرينة: (بفخر) حيث تنظر إلينا الشمس بلا حجاب يا أرنولد.

البروفيسور روبيك: سوف ترانا كل قوى النور وكل قوى الظلام أيضا.(يقبض على يدها) هل تتبعينني يا عروستي المباركة؟

إيرينة: (كأنما تجلت) أود أن أتبعك بحرية وسرور إلى حيث تمضي ، يا سيدي ويا مولاي !

البروفيسور روبيك: (يسحبها معه) علينا أن نخترق الضباب أولا يا إيرينة، ثم...

إيرينة: نعم،نخترق الضباب ثم نصل مباشرة إلى القمة التي تضيء مع شروق الشمس.

(تتجمع سحب الضباب بكثافة في الأفق فوق المشهد ، يصعد البروفيسور روبيك وإيرينة وقد تشابكت أيديهما خلال الثلوج المتجمعة في الناحية اليمنى ، وفي الحال تخفيهما السحب المنخفضة وتنوح العواصف اللافحة ويسمع صفيرها في الهواء.)

(تظهر راهبة الرحمة عند الصخرة جهة اليسار. تقف وتنظر حولها في صمت.)

يمكن سماع صوت السيدة مايا تغني من الأعماق بفرح:
إنني حرة! إنني حرة ! إنني حرة!
حياتي في انتهت !
أنا حرة كالطير
أنا حرة!
نعم، أظن أنني استيقظت الآن ... أخيرًا.

(يسمع فجأة من فوق الثلوج المتجمعة صوت كالرعد وتنزلق هذه الثلوج وتتهاوى في سرعة كبيرة . يمكن رؤية شبحي البروفيسور روبيك وإيرينة بشكل غير واضح وهما يسقطان مع الثلوج ويدفنان تحتها.)

الراهبة: (تصرخ وهي تمد ذراعيها نحوهما وتصيح) إيرينة!

(تقف لحظة صامتة ثم ترسم علامة الصليب في الفضاء وتقول: السلام لكما!)

(مازال صوت السيدة مايا المبتهج يبتعد أكثر وأكثر عن منحدر الجبل)

ستار النهاية